جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية

ثورات الجزائريين ضد الحكم العثماني في الجزائر خلال الثلث الأول من القرن 19م

– الطريقتان الدرقاوية والتجانية – أنموذجا.

مذكرة مكمّلة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر
في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث

من إعداد الطالبين:
موسى مدخل
مزيان عياط

الأستاذ المشرف:
الإمام بريك

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د. رشيد قسيبة	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر
أ. الإمام بريك	مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمه لخضر
د. الجباري عثماني	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد حمه لخضر

السنة الجامعية : 1438-1439هـ / 2017-2018م

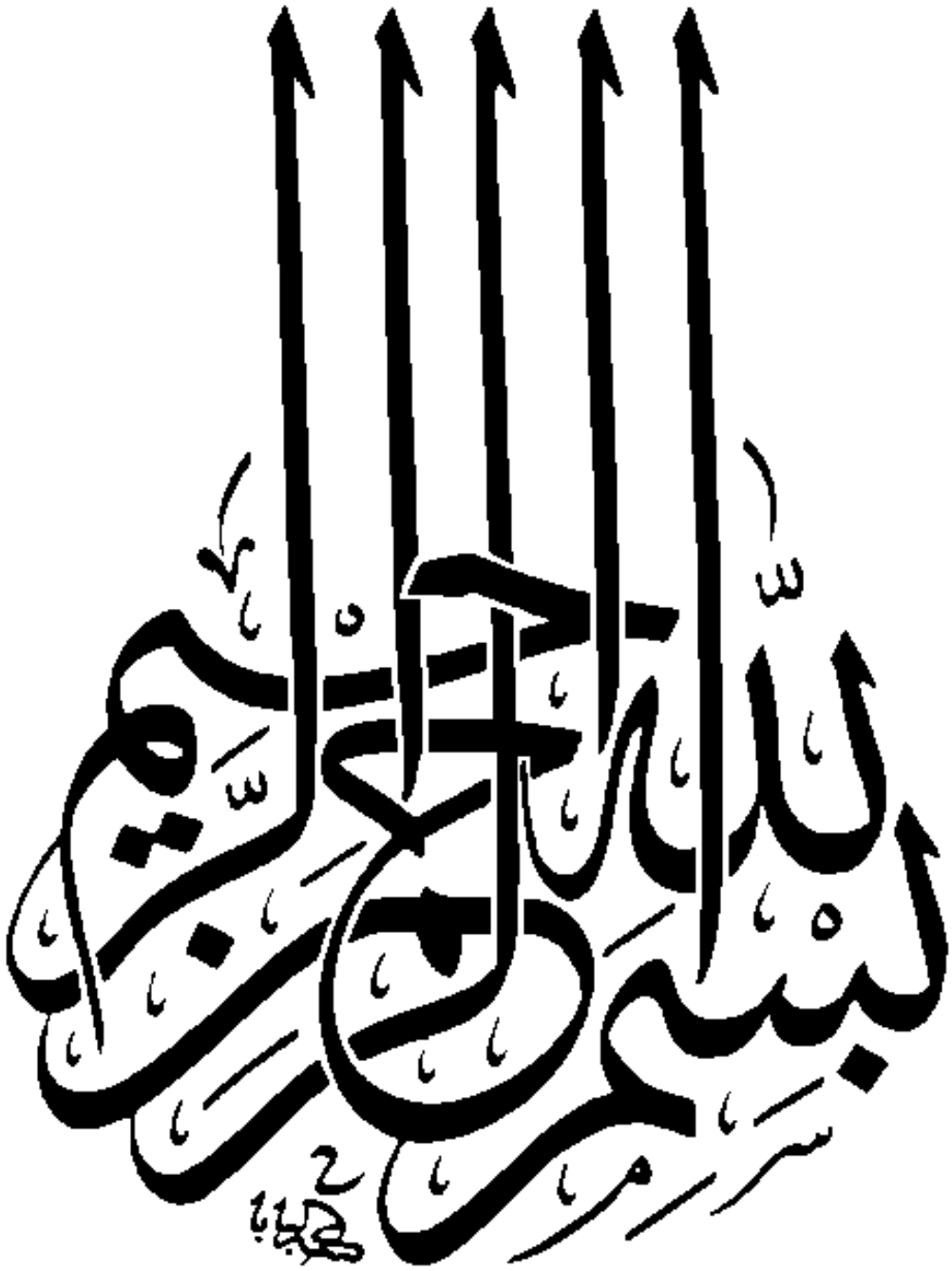
بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾

التوبة: 105

الإهـــــــــداء

إلى من لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

تذبل الورود وتزهر وتختفي الشمس وتظهر ولا تفنى العزيزة الغالية التي غمرتني بحنانها وزودتني بعطفها وكرست لي كل وقتها وجهدها ورافقتني خطوة بخطوة إلى أن أتممت مشواري الدراسي وكانت خير قدوة لي أمي الغالية.

إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل أسمه بكل افتخار والدي العزيز أطلب من الله أن يمد في عمره.

إلى النجوم الزاهرة رياحين حياتي إخوتي أبنائهم وكافة الأهل والأقارب.

إلى أساتذتي الفضلاء الذين تابعونا في دراستنا ولم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم وإرشاداتهم طيلة فترة الدراسة التي بفضلها أنجزنا بحثنا وفق أسس علمية.

إلى كل من عرفني من قريب أو بعيد وكان لي عونا وسندا وكل طلبة شعبة التاريخ وخاصة تاريخ وسيط دفعة 2018م.

إلى كافة الأصدقاء الذين حفظهم القلب ولم ينطق بهم اللسان.

إلى من تقاسمت معه عناء العمل وكان رفيق مشواري عياط مزيان

موسى

الإهـــــداء

ربي نحمدك حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك لا يسعني في هذا المقام النبيل إلا أن أهدي ثمرة جهدي

إلـــى:

أمــي وأبـــي الغــالــيين.

وإلى أساتذتنا الأفاضل الذين أعانونا في دراستنا راجين من المولى عز وجل أن يوفقهم إلى ما فيه الخير والصلاح.

وإلى كل رفقاء الحياة وكذا زملاء الدراسة وخاصة من قاسمني هذا العمل "مدخل موسى "...

... دون أن أنسى كل من قدم لي يد العون...

مزيان

شكر وعرفان

من لا يشكر العبد لا يشكر الله، ومن لا يعترف بأفضال الناس عليه، يكون ناكرا للجميل، فالحمد لله الذي هدانا, فأوقد فينا شعلة العلم وزرع في أنفسنا حب الاجتهاد والنجاح، واعترافا منا بكل ما قدمه إلينا أستاذنا المشرف " **الإمام بريك** " بفائق عبارات الاحترام والتقدير والشكر الجزيل على صبره معنا، ووقوفه إلى جانبنا وعلى تحفيزه لنا على مواصلة درب العلم ودعمه لنا في كل خطوة خطوناها صوب تحقيق النجاح, فنأمل أن نكون على حسن ظنه.

كما نشكر أعضاء لجنة المناقشة الموقرين: دكتورنا " **جباري عثماني** " ودكتورنا " **رشيد قصيبة** " على قبولهما مناقشة رسالتنا, ونشكر أيضا أستاذنا " **أحمد بن تيشة**" على جميع النصائح والإرشادات المقدمة لنا, ولا ننسى كاتب الرسالة " **سود بلقاسم**" ومدير مدرسة " دعمش الحفناوي " " **بن تيشة يحي**".

وفي هذا المقام لا يمكننا أن نسى أساتذة قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ، والتقدم لهم بشكرنا الخالص على كل ما قدموه خلال مشوارنا الجامعي، ولم يبخلوا علينا بأي معلومة، ونشكرهم على مساعدتهم لنا.

ونشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل المتواضع وشكرا.

موسى مزيان

قائمة المختصرات

أولا: باللغة العربية :

ت : توفي
تح : تحقيق
تر : ترجمة
تص : تصحيح
تق : تقديم
ج : جزء
د ت : دون تاريخ
د س ط : دون سنة طبع
ص ص : تحديد الصفحات
ص : صفحة
ط : طبعة
ق : قرن
م و ك : المؤسسة الوطنية للكتاب
م : ميلادي
هـ : هجري
مج : مجلد
ش، و، ن، ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

باللغة الأجنبية :

P = page
PP = pages multiples
R.A. = Revue Africaine
Op .Cit = Ouvrage precite

مقدمة

شهدت إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني العديد من الثورات الشعبية ضد السلطة الحاكمة، قادها مرابطون وشيوخ الطرق الصوفية وشملت مختلف أنحاء البلاد، وهي ناجمة عن توتر العلاقات بين السلطة والسكان نتيجة سوء المعاملة والبطش والسياسة الجبائية المجحفة الممارسة على الجزائريين، تلك السياسات دفعت فئات المجتمع المختلفة للالتفاف حول قيادات دينية تمثلت في شيوخ الطرق، وهذا لشق عصا الطاعة على الحاكم والدخول في ثورة ضده.

وتعد ثورتا الطريقة الدرقاوية التي اندلعت في بايلك الشرق بزعامة ابن الأحرش وفي بايلك الغرب بقيادة الشريف الدرقاوي وكذا ثورة الطريقة التجانية التي قادها محمد الكبير التجاني في بايلك الغرب من أبرز الثورات وأخطرها التي هددت كيان الوجود العثماني بالجزائر.

لهذه الاعتبارات وغيرها كانت هذه الدراسة الموسومة بـ :

ثورات الجزائريين ضد الحكم العثماني في الجزائر خلال الثلث الأول من القرن 19م – الطريقتان الدرقاوية والتجانية – أنموذجا.

<u>حدود البحث:</u>

تشتمل هذه الدراسة الفترة الأخيرة من عمر الدولة العثمانية في الجزائر والتي حددت زمنيا بين سنتي (1782-1827)م

فسنة 1782م مثلت بداية أول حملة عسكرية على مدينة عين ماضي التجانية والتي قادها الباي محمد الكبير بايلك الغرب، هذه الحملة عكست بداية النفور والعداء بين السلطة العثمانية والتجانيين.

أما سنة 1827م فمثلت بداية الثورة العارمة التي قادها أتباع الطريقة التجانية، كما مثلت نهايتها وفشلها، وخلال هذه الفترة الزمنية اندلعت ثورتا أتباع الطريقة الدرقاوية في كل من بايلك الشرق وبايلك الغرب.

-إشكالية وفرضيات البحث:

لقد حاولنا في هذا البحث الإجابة عن جملة من التساؤلات التي هي عبارة عن إشكاليات جزئية ترتبط بإشكالية عامة وهي:

- **ماهي تداعيات ووقائع ثورات الدرقاوية والتجانية ضد السلطة العثمانية؟ وما دورها في زعزعة استقرار الحكم التركي في الجزائر خلال الثلث الأول من القرن 19م؟.**

وتتفرع عن هاته الإشكالية عدة أسئلة فرعية:

- هل كان للأوضاع العامة للجزائر في أواخر العهد العثماني دورا في اندلاع هذه الثورات؟
- هل كان لسياسة الضرائب المجحفة سببا في اندلاع هذه الثورات؟
- هل كان للبعد الديني والعقدي دورا أساسيا في نشوب هذه الثورات؟
- ما هي أهم مجريات أحداثها؟
- ماهي نتائجها وانعكاساتها على السلطة والرعية؟
- **دواعي اختيار الموضوع:**

واختيارنا لهذا الموضوع جاء لعدة اعتبارات:

- ميولاتنا الشخصية ورغبتنا في خوض الدراسات ذات الطابع الديني.
- رغبتنا في التعمق في دراسة المواضيع الخاصة بتاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، هذه الأخيرة التي نراها حلقة هامة من حلقات التاريخ الوطني.

- نقص الدراسات الأكاديمية المتخصصة في تاريخ الديني للجزائر خلال الفترة العثمانية فأغلب الدراسات جاءت مهتمة بالجانب السياسي والعسكري.
- الرغبة في التعرف على حيثيات تاريخ الجزائر العثماني في أواخر فتراته.

المناهج المتبعة في الدراسة:

- المنهج التاريخي وقد اعتمدناه للوصول إلى الحقيقة التاريخية بكل موضوعية وهو المنهج الرئيسي والأنسب لهذه الدراسة.
- المنهج التحليلي وهو الذي سنقوم من خلاله بتحليل المعلومات التي جاءت بها المصادر.
- المنهج الوصفي: وهو المنهج القائم على سرد الأحداث والوقائع وفق التسلسل الزمني نظرا لطبيعة الموضوع وخصوصيته.

تقسيمات الدراسة:

وللإجابة عن الإشكالية الرئسية والفرضيات الفرعية المطروحة قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة وذيلناه بمجموعة من الملاحق.

تطرقنا في الفصل الأول إلى لمحة عامة عن الأوضاع السياسة والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإيالة الجزائر أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر للميلاد.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه للحديث عن الثورات الشعبية التي قادها أتباع الطريقة الدرقاوية في كل من بايلك الشرق وبايلك الغرب، ففي الشرق تكلمنا عن الثورة التي قادها ابن الأحرش الدرقاوي من خلال التطرق إلى أحداث الثورة ومراحلها ونتائجها، وأنهيناه بالحديث عن الثورة الدرقاوية في الغرب بقيادة الشريف الدرقاوي من خلال التطرق إلى أحداث الثورة ومراحلها ونهايتها أيضا.

أما الفصل الثالث فقد تناولنا فيه الثورة التجانية، ففي البداية ذكرنا التعريف بالطريقة نشأتها وتطورها ثم عرجنا إلى الحديث عن العلاقة بين السلطة العثمانية والتجانيين، وأنهيناه بالتطرق إلى مراحل الثورة ونهايتها ونتائجها.

أما الخاتمة فقد جاءت كمحصلة للنتائج المتوصل إليها بعد إنجازنا لهذا البحث.

دراسة المصادر والمراجع:

1- الزهار أحمد الشريف: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر**، تحقيق أحمد توفيق المدني.

يعد من أبرز مصادرنا فهو تحدث عن جميع الأحداث التي عرفتها الجزائر منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد حتى إلى فترة الاحتلال الفرنسي.

2- الزياني محمد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق الشيخ المهدي البوعبدلي.

وهو من المصادر الهامة في هذه الفترة وقد استفدنا منه عند الحديث عن ثورات الطريقة الدرقاوية التجانية، وتكمن أهميته أنه كان معاصرا لهذه الأحداث.

3- الآغا بن عودا المزاري: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر واسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م**، دراسة وتحقيق يحي بوعزيز، وهو مصدر مهم اعتمدنا عليه خلال حديثنا عن الثورتين الدرقاوية والتجانية.

4- صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، تحقيق وتقديم رابح بونار.

يعتبر من المصادر الهامة، وقد أفادنا أثناء حديثنا عن الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية لإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني.

أما أهم المراجع التي اعتمدنا عليها نذكر ما يلي:

1-محمد مكحلي: **ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني(1707-1827)م**، وهو مرجع مهم لبحثنا وقد استفدنا منه في جميع مراحل هذا البحث.

2-ارزقي شويتام: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره**، وهو من المراجع المهمة التي افادتنا في إنجاز البحث.

3-ناصر الدين سعيدوني: **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، يعتبر المراجع المهمة التي اعتمدنا عليها، وقد أفدنا خاصة في الفصلين الأول والثاني.

صعوبات الدراسة:

لقد واجهتنا أثناء بحثنا جملة من الصعوبات:

- البحث ليس سهلا كما يتبادر إلى بعض الأذهان وصعوبته تكمن في تناقض الروايات في أغلب الأحيان مما جعلنا نقوم بدراسة وتمحيص مختلف الروايات التاريخية من مصادرها الأصلية وترجيح الأقرب إلى الحقيقة.
- بعض المصادر التي اطلعنا عليها تنقل المعلومات عن بعضها البعض مما صعب مهتنا في ذكرها بدقة وخاصة ثورة الشريف الدرقاوي.

الفصل الأول

الأوضاع العامة في الجزائر أواخر عهد الدايات

أولا: الأوضاع السياسية:

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية:

ثالثا: الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

أولا: الأوضاع السياسية

إن الدارس لتاريخ الجزائر السياسي خلال فترة الدراسة يتضح له أنه كانت تتحكم فيه قوتان، الأولى اكتسبت مكانتها من الدين (مرابطون، شيوخ، زوايا..)، أما الثانية من الجيش (إنكشاريون، رياس..)، وقد كانت الأولى بحكم طابعها الديني أقل اعتمادا على العمق العرفي، أي لا تفرق بين تركي وعربي وبربري من العسكريين مع تفاوت في الانتشار الطبيعي للنزوح والحماس الديني بين مختلف الطوائف والقبائل، وعليه فكان من الصعب أن تنفرد إحدى القوتين بالسلطة[1]، وبهذا تميز نظام الحكم في الجزائر العثمانية[2] والتي أصبحت فيها البلاد مقاطعة شبه مستقلة، بانعدام شبه كلي لمشاركة الأهالي في الحكم واتخاذ القرارات على المستوى العام، وقد اقتصر دور العلماء والشيوخ والوجهاء على الوساطة بين الأهالي والسلطة الحاكمة[3].

وقد عمل الأتراك على إبقاء الأهالي بعيدين عن أي مساهمة في أمور النيابة وحالوا دون إمكانية اندماجهم في المجتمع الجزائري، وهذا ناتج عن رغبتهم في السيطرة على المناصب الحكومية، وزاد حقد الأهالي للأتراك لما فرضوه من ضرائب وغرامات[4].

وبالرغم من أن سياسة العثمانيين في الإيالات الخاضعة لها قد اتصفت بعدم التدخل في الحياة الخاصة بهذه الأقطار، مما جعل هذه الأخيرة حكمها محدود خاصة في المناطق النائية البعيدة عن مركز السلطة مثل القرى والأرياف[5].

---

[1] محمد مكحلي، **ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني(1707-1828)**، دار أفاق كوم للنشر والتوزيع، الجزائر،2013، ص 138.

[2] ينظر الملحق رقم 01، ص 69. الخريطة السياسية للجزائر العثمانية أوائل ق 19م.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وابحاث في تريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 98.

[4] هلايلي حنيفي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 10.

[5] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985، ص 21.

وهذا ما جعل الدايات يمارسون سلطتهم مستقلين عن الدولة العثمانية وفيما يخص أمور البلد فنجد أن هناك نوعان من الحكام الذين تداولوا على منصب الحكم في الفترة الأخيرة من العهد العثماني للبلاد، فمنهم من كان صالحاً مثل *محمد عثمان باشا[1](1766-1791)، وهذا الأخير عرف أنه صرف أموالا طائلة لبناء المساجد وتشييد الحصون لحماية البلاد[2]، وأيضا الحاج علي باشا الذي نجح في إعادة القوة والهيبة للسلطة[3].

أما عن النوع الثاني من الحكام نجدهم قد اتسموا بعدم المبالاة و عدم القدرة على تسيير أمور الحكم وذلك راجع إلى أن هؤلاء قد كانوا قبل توليهم الحكم كانوا يشتغلون في مهن غير هامة ووضيعة، مثل الداي علي الغسال الذي اشتغل في تغسيل الأموات كما اشتهروا بالإسراف والتبذير.

وقد كانت نهاية أغلبهم مؤسفة وشنيعة حيث اغتيل ستة دايات، وأثناء فترة حكم الداي مصطفى باشا (1798-1805) عمل هذا الأخير على تشجيع البحرية إلا أن كثرة المؤامرات السياسية في الحكم أدت إلى اغتياله.

ولقد أدت السياسة المتبعة من طرف الدايات في أواخر العهد العثماني إلى ظهور العديد من الانتفاضات المتعاقبة، مثل حركة العصيان التي ظهرت في بابليك الشرق بقيادة ابن الأحرش. وكذلك في بابليك الغرب ظهر تمرد بقيادة ابن الشريف الدرقاوي، وغيرها من الثورات التي هزت وزعزعت نظام الحكم[4].

---

[1] * الداي محمد عثمان: هو من أبرز دايات الجزائر تميز بالزهد وحسن التصرف وكان له الفضل في الانتصار على الحملة الاسبانية، حكم الجزائر من 1766إلى1791م. ينظر أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م، ص ص 77-78.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 29.

[3] غطاس عائشة وآخرون، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، المركز الوطني للبحث، الجزائر،2007، ص61.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص ص25- 26.

ومن بين مظاهر الأوضاع السياسية أيضا، تفشي ظاهرة الرشوة التي تجعل من كبار الموظفين في الدولة يدفعون رشاوي للحصول على مناصب في الدولة، ومما زاد الوضع خطورة سياسة الحكام العثمانيين غير الرشيدة، وفي هذا الصدد يقول العنتري: "... *الأتراك في بدء أمرهم عدلوا بين الناس*، ولم يظلموا أحدا وحين تمكنوا صاروا يظلمون الناس، ويسفكون دمائهم، ويأخذون أموالهم بغير حق ولم يزل ظلمهم يزداد حتى جاوز الحد"[1].

وعليه قد أصبحت المناصب توزع على الموظفين من الأقارب أو من يدفع أكثر قدر من المال، وخلاصة لهذا الوضع الكارثي الذي آلت إليه البلاد ظهر عنصر جديد، ساهم في تدهور الأوضاع السياسية ألا وهم اليهود الذين استطاعوا احتكار النشاط التجاري مما سمح لهم بالتدخل في الشؤون السياسية للحكم على الصعيدين الداخلي الخارجي[2].

وقد كان ليهود الجزائر خبرة ودراية كبيرتان بفنون التجارة ومهارة في طرق كسب المال، الأمر الذي جعلهم يطلعون على سير الاقتصاد الجزائري وذلك بسبب تدخلهم في شؤون البلاد السياسية والاجتماعية، فحصلوا بذلك على نوع من التسلط السياسي وقبضوا على خيرات البلاد لاسيما في عهد الداي مصطفى باشا[3].

لقد كانت سياسة الدايات الخارجية تعمل على التفوق العسكري على بايات تونس وسلاطين المغرب، مع إبقاء التعاون مع الدولة العثمانية، وذلك من أجل إبقاء الجزائر مقاطعة مستقلة بالفعل عن الدولة العثمانية، وقد لعبت الجزائر أدوارا هامة على الصعيد الخارجي وخاصة في محاولتها إفشال مقررات الوفاق الأوروبي بعد مؤتمر فيينا عام 1815م الهادف إلى فرض السيادة والهيمنة الأوربية على حوض البحر المتوسط[4].

---

[1] صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش و ن ت، الجزائر، 1974، ص30.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 78

[3] محمد مكحلي، المرجع السابق، ص ص 139-140.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص ص 92-93.

أما العلاقة مع الباب العالي فكانت مجرد شكلية تمثلت في تسليم فرمانات التولية وجلب المجندين من الأناضول، وقد كان الباب العالي يضغط على إيالة الجزائر من جهة التجنيد وذلك من أجل إبقاء الإيالة تحت التبعية العثمانية في بعض القضايا السياسية والعسكرية، ومن الأزمات التي تسببت في توتر العلاقات بين الطرفين كانت في سنة 1798 أثناء احتلال نابليون بونابرت لمصر حيث أمر السلطان العثماني سليم الثالث (1789-1807) بإصدار أمر إلى الداي مصطفى باشا يجبره على إعلان الحرب على فرنسا، واحتجاز والقبض على القنصل الفرنسي بالجزائر، ولكن مصطفى باشا لم يأتمر بأوامر السلطان وأطلق سراحه، مما أغضب السلطان العثماني وجعله يرد هدايا مصطفى باشا تعبيرا عن غضبه مما صدر منه لمخالفته أوامر السلطان، وقد قام أيضا بإصدار فرمان يمنع فيه الجزائريين من الدخول إلى الموانئ العثمانية، وأنهم سوف يتعرضون للسجن وهدد الباب العالي بطرد وكلاء إيالة الجزائر المكلفين بالتجنيد، ومن جراء هذه الضغوطات ما كان على داي الجزائر إلا إعلان الحرب ضد فرنسا[1].

أما بالنسبة للعلاقات مع الدول المجاورة للإيالة الجزائرية، فقد تميزت في أواخر القرن 18 م ومطلع القرن 19 م بالتوتر تارة والهدوء وحسن الجوار تارة أخرى، ولعل السبب يعود إلى عامل الحدود ومناطق النفوذ لكل دولة وذلك لأن قبل مجيء العثمانيين كانت تخضع هذه الحدود لميزان القوة، ومنذ أن صارت الجزائر إيالة عثمانية تم تحديد هذه المناطق الحدودية، إلا أن هذا لم يضع حدا للصراعات[2].

وتواصل هذا الصراع بين إيالة الجزائر وتونس رغم محاولة الداي علي سنة 1817م إنهاءه، غير أن الحكومة التونسية رفضت الصلح، أما بالنسبة للفترة الممتدة من سنة (1756-1805م) فقد عرفت هيمنة إيالة الجزائر على تونس غير أنها شهدت فترات سلم

[1] محمد بوشنافي، **الوثائق العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني**، مجلة الوقف للبحوث في المجتمع والتاريخ، العدد 09، 2014، ص 199.

[2] أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهياره (1800-1830م)**، دار الكتاب العربي، الجزائر 2011، ص27.

وهدوء سمحت لإيالة تونس أن تحقق تطورا في مختلف جوانب الحياة وخاصة في الجانب الاقتصادي. أما الفترة ما بين 1805م إلى 1815م حاولت فيها تونس التخلص من نفوذ الجزائر مما جعل التوتر يعود من جديد[1].

استطاعت الدولة العثمانية في المرحلة الأخيرة من الحكم أن تضع حدا لهذا الصراع وقد عبر عن ذلك الشريف الزهار بقوله: " لما وصلت الفرمانات والرسل لأميري البلدين عندئذ تم الصلح وفرح جميع المسلمين واستبشروا بإطفاء الفتنة"[2].

أما عن العلاقة مع المغرب الأقصى، فقد تداخلت فيها العديد من العوامل الخارجية منها علاقة كل منهما بالدولة العثمانية[3]، لقد شهد مطلع القرن 19 تدخلات سلاطين المغرب في الجزائر وتمثلت في دعمهم لثورة الدرقاوية، وبالمقابل شهدت فترات قل فيها الصراع عندما أقدم السلطان مولاي سليمان على إرسال عدد من السفن الحربية إلى الجزائر إثر حملة اللورد اكسموث عام 1816م[4].

أما في ما يخص العلاقات مع الدول الأوربية فقد غلب عليها طابع العداء والتوتر نتيجة القضايا التي ترتبت عن الغنائم والإتاوات والأسرى، حيث كان موقفها موقف دفاعيا بالموازاة مع تزايد قوة الأساطيل الأوربية وتراجع البحرية الجزائرية[5]، أما علاقة الجزائر بفرنسا فقد عرفت استقرارا لمدة طويلة منذ توقيع معاهدة 1694م، ولقد كان للعاملين الاستراتيجي والاقتصادي أثر بالغ في العلاقات الفرنسية الجزائرية في عصر الثورة، حيث حاولت فرنسا

---

[1] عمر بن خروف، **العلاقات الخارجية السياسية مع تونس في عهد الدايات(1671-1830)**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، 1997، ص ص 396 - 397.

[2] أحمد الشريف الازهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، 1830/1754**، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص47.

[3] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص42.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص ص95-98

[5] عبد القادر فلوح: **العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1818-1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، الموسم الجامعي 2010/2009م، ص10.

الاستفادة من الجزائر في هذين الميدانين، ففي سنة 1796م اقترضت حكومة الثورة الفرنسية من إيالة الجزائر مليون فرنك لشراء القمح لجيوشها[1].

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية:

تجلى نشاط المجتمع في المجال الاقتصادي في الجزائر خلال الحكم العثماني على الزراعة والصناعة والتجارة.

1- الزراعة:

تعد الزراعة من أهم الأنشطة الاقتصادية التي اعتمد عليها السكان في معيشتهم نظرا لاتساع الأراضي الزراعية وخصوبة التربة واعتدال المناخ، وقد ساعد تنوع التضاريس في تنوع الغطاء النباتي والمحاصيل الزراعية[2]، وكان هذا في الفترة الأولى من الحكم العثماني، وذلك نتيجة لما عاد به الجهاد البحري من أرباح مكنت الكثير من الحضر والأتراك العثمانيين من حيازة أراضي زراعية هامة خارج مدينة الجزائر[3].

ولقد كان لنشاط المهاجرين الأندلسيين دورا كبيرا في ازدهار وتطور النشاط الزراعي حيث يعود لهم الفضل في استصلاح الأراضي كما أدخلوا أساليب جديدة على تقنيات الري، حيث مدوا القنوات وأقاموا العيون والحنايا وحفروا الآبار والسواقي، فبفضلهم ومجهوداتهم أصبحت مدينة الجزائر تتوفر على شبكة مائية متطورة كما قاموا بتجفيف المستنقعات وتمكنوا من إدخال محاصيل جديدة[4].

---

[1] أزرقي شويتام: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1830/1800)**، المرجع السابق، ص101.

[2] المرجع نفسه ،ص 56.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث لتاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص361.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **ولايات المغرب العثماني(الجزائر، تونس، المغرب)**، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص89.

كما قام بعض الحكام أمثال الباي محمد بن عثمان بتشجيع زراعة الحبوب في بايليك الغرب نظرا لأهميتها لكونها مادة رئيسية للاستهلاك المحلي والتصدير الخارجي حيث كانت كميات كبيرة ينتجها سهل متيجة[1].

غير أن الوضع قد تغير مع ظهور سياسات من طرف الدولة العثمانية، مثل السياسة الضريبية التي اتبعتها الدولة جراء انخفاض المداخيل الاقتصادية، مما جعل الدولة تلتجئ إلى تطبيق هذه السياسة على الفلاحين، فأصبحوا يدفعون أضعاف المبالغ مما جعلهم يتخلون عن النشاط الزراعي ويلتجئون إلى الجبال والصحاري، لتتحول إلى زراعة بسيطة في الجبال وتربية المواشي، وذلك حتى يسهل عليهم الفرار من الضرائب التي أثقلت كاهلهم، مما أحال هذا الوضع إلى قلة المساحات المستغلة وتحول الأراضي الخصبة إلى قفار[2].

ومما زاد عن الطين بلة الكوارث الطبيعية والتي تعرضت لها البلاد في الفترة الأخيرة من الحكم التركي إلى تدهور وفساد القطاع الزراعي، حيث تمثلت هذه الكوارث في زلازل ومن بينها زلزال وهران 1818م وعنابة 1815م والبليدة ومتيجة 1825م، والتي انجرت عنها خسائر مادية وبشرية، مما حتم على الفلاحين ترك الأراضي الزراعية مؤقتا[3]، كما شهدت البلاد فترات مجاعة نتيجة لتذبذب التساقط وانعدامه في فترات المواسم مما نتج عليه قحط وندرة المحاصيل الزراعية[4]، وعادة ما يصحب الجفاف بظهور الجراد، فعندما يشتد الجفاف لفترة طويلة نسبيا ثم تنزل الأمطار محدثة فيضانات، فإن ظهور الجراد يكون شبه مؤكد واجتياحه للحقول أمر لا يمكن تجنبه، فيوقع أضرارا في المحاصيل الزراعية لتكون نسبة المحاصيل ضعيفة حيث أصاب مدينة الجزائر في سنوات (1800م،1798,1799,1804)

---

[1] وليام شالر: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)**، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص30.

[2] نصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**...، المرجع السابق، ص118.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر، دار السلطان أواخر العهد العثماني (1711- 1830)**، دار البصائر، 2013، ص330.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **دراسات تاريخية في الملكية العقارية**، دار البصائر، الجزائر، 1986، ص ص101-102.

موجات هائلة من الجراد، بالإضافة إلى انتشار الوباء والذي كان أشهره عام (1816-1822)م الذي كان سببا في هلاك عدد هائل من السكان[1].

2- الصناعة:

شهدت الجزائر أثناء الحكم العثماني نشاطا صناعيا واضحاً، تمثل في المهن التقليدية والحرف اليدوية التي كانت معروفة ومنتشرة في الأقاليم الإسلامية والبلدان الأوربية، حيث كانت المدن الجزائرية تظم الكثير من الصناعات التقليدية توزعت في الشوارع والأسواق نسبت إلى صنعة من تلك الصنائع مثل السوق الجديدة وغيرها، غير أن النشاط الصناعي بالمدن الجزائرية لم يبق على حاله فعند أواخر القرن الثامن عشر قلت نوعيته وتناقصت كميته، حيث تعرض الصناع والحرفيون إلى أزمة كساد وانخفاض في الأسعار[2].

وقد تنوعت الصناعات والحرف التي مارسها الفرد الجزائري في تلك الفترة في المدينة أو الريف ومن أهم هذه الصناعات نجد صناعة النسيج[3]، صناعة الصوف والحرير، وكانت تستورد مادة الحرير الخام من بلاد الشام، وقد كانت هذه المنتجات تباع بأسعار أقل من المنتجات الأوربية، وعلى العموم لا توجد صناعة أوربية تفوق المنتجات الجزائرية في هذا المجال[4]، وقد انفردت مدينة الجزائر وتلمسان بصناعة الحلي الذهبية ولكنها كانت حكراً على اليهود[5].

---

[1] صالح العنتري، المصدر السابق، ص ص31- 35.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص ص179- 180.

[3] أرزقي شوبتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519-1830)**، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص ص 206- 222.

[4] وليام شالر، المصدر السابق، ص93.

[5] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص62.

وإضافة إلى هذه الصناعات قد مارس المجتمع الجزائري صناعات أخرى كانت منتشرة كصناعة الفخار والحدادة والنجارة والصناعة الحربية كصناعة البارود وسك النقود[1].

وبنظرة عامة فإن النشاط الصناعي كان ضعيفا حيث اقتصر على الصناعات المحلية اليدوية، وبعض الصناعات المعدنية التحويلية التي تمثلت في صناعة الأغطية الصوفية بتلمسان والأدوات الجلدية والأقمشة بمازونة والأحذية والزرابي بقلعة بني راشد، وصناعة الفضة بمنطقة جرجرة وقد كانت هذه الصناعات مقتصرة على الحضر من الأندلسيين واليهود[2].

وقد كانت هناك حرفة صناعة الخشب التي كانت منتشرة قليلا في الأرياف مقارنة بالمدينة حيث كانت تصنع السفن والأواني الخشبية المتنوعة، وازدهرت صناعة الأسلحة خاصة المدفعية والبنادق، كما انتشرت الصناعة الغذائية كأفران الخبز ومطاحن الدقيق ومعاصر الزيتون بالجزائر حيث كانت هذه الأخيرة تحتوي على العديد من المطاحن[3].

ولقد عانت هذه الصناعات من مشاكل جعلتها تتراجع وتدخل في مشاكل حالت دون ازدهارها منها:

- كثرة الضرائب والرسوم المفروضة على الحرفيين مثلا عن كل قنطار من الكتان يدفع مبلغ يقدر بـ 25 درهما.
- المنافسة الخارجية وذلك بسبب تشجيع الحكام على استيراد هذه المنتجات مما جعل الصناع الجزائريين يرفعون أسعار منتوجاتهم لتغطية التكاليف المالية مما أثر سلبا على جودة المنتوجات المحلية[4].

---

[1] يحي بوعزيز، **الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن 19**، مجلة الثقافة، العدد 80، 1984، ص169.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، المرجع السابق، ص34.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص186.

[4] المرجع نفسه، ص182.

ومن بين العوامل نجد أيضا تحكم الجماعات الحرفية في الصناع حيث أصبح منصب الأمين يعطى لأشخاص يدفعون مبالغ مالية معتبرة بغض النظر عن الكفاءة المهنية[1].

وعليه فكل هذه العراقيل التي أصابت مختلف الصناعات في الفترة الأخيرة من التواجد العثماني بالجزائر أثر على الجانب التجاري داخليا وخارجيا.

3- التجارة:

بالرغم من الثروة الزراعية والصناعية التي كانت تزخر بها البلاد، فإنها بقيت عاجزة عن تلبية الحاجيات الاقتصادية للبلاد حيث لم يكن هناك نشاط تجاري مكمل لها وموازي، فقد مارست الجزائر في العهد التركي نشاطا تجاريا واسعا حيث أصبح من الدعائم الأساسية لاقتصاد البلاد، وقد انقسمت التجارة في الجزائر إلى قسمين داخلية وخارجية[2].

أ/ التجارة الداخلية:

كان النشاط التجاري في الجزائر خلال العهد العثماني في الداخل موزعا على المدن الكبيرة والأسواق الأسبوعية والموسمية، وقد كانت من أهم المراكز التجارية مدينة الجزائر، تلمسان وقسنطينة وصار يقصدها الأهالي من مختلف الأماكن لتلبية حاجياتهم وتسويق منتوجاتهم خاصة عقب مواسم الحصاد[3].

ب/ التجارة الخارجية:

كانت التجارة الخارجية للجزائر في جملتها تتم مع بلاد السودان وعلى المبادلات مع مختلف الأقطار الأخرى، حيث تكونت العديد من المحطات التجارية عبر الصحراء، فقد انتقلت المواد من الشمال إلى الجنوب إلى متليلي حيث تنقلها قبائل الشعانبة إلى أسواق

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص185.

[2] محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين 1792-1830م**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 64 - 65.

[3] أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني**، المرجع السابق، ص ص64-65.

المنيعة (غرداية)، ومن ثم يحملها الطوارق والمنافشة إلى تمبكتو، وتشمل هذه المواد مختلف المصنوعات، ويستورد من الدول الإفريقية العبيد وريش النعام والجلود وغيرها، لكن هذه التجارة عانت من مشكل الصراع بين الطوارق والقبائل العربية[1]. أما مع دول الجوار كالمغرب وتونس فقد كانت تشهد نشاط واسعا خاصة مع تونس بينما مع المغرب كانت ضعيفة[2].

وقد مارس حكام الجزائر في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني نظام الاحتكار خاصة في تصدير بعض المنتجات المحلية للدول الأوربية، وقد كان هذا الاحتكار أيضا من الدول الأوربية كفرنسا التي احتكرت تجارة الجلود والصوف، أما بالنسبة للجانب الجزائري فقد تمثل في مادة الشمع وغيرها من المواد الأخرى التي يتم بيعها في الأسواق الأوربية[3].

ونتيجة لهذه السياسة فقد أصبح الفلاح الجزائري لا يقدر على بيع منتوجه بالأسعار التي ترضيه أو حتى تعود عليه بالفائدة، حيث أصبح البيع متوجه للوكلاء وهم يبيعونها للتجار اليهود والوكالات الأوربية[4].

ثالثاُ: الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

لقد عرفت المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر تردي الأوضاع المعيشية والصحية للسكان مما أثر على النمو الديموغرافي للسكان وعلى وضعهم الاجتماعي وهذا مما أدى إلى قلة اليد العاملة[5].

ويعود هذا إلى انتشار الأمراض والأوبئة من الأقطار المجاورة، وذلك لانفتاح الجزائر على البحر المتوسط وعلى أقاليم السودان وعلاقاتها بالبلاد الأوربية والمشرق العربي، وهذا

---

[1] أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص242.

[2] أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني**، المرجع السابق، ص 66.

[3] وليام شالر، المصدر السابق، ص10.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **ولايات المغرب العثماني**، المرجع سابق، ص208.

[5] ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص ص55-56.

الأخير انتقلت عبره العديد من الأمراض كالكوليرا والجدري، وذلك يعود إلى توافد التجار والبحارة والحجاج إلى الموانئ الجزائرية.

ومما زاد الوضع تدهورا هو انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية وحول المدن الكبرى مثل عنابة والجزائر ووهران، إضافة إلى عدم التزام السكان بالقواعد الصحية[1].

وعليه فقد تعرضت الجزائر في أواخر العهد العثماني للعديد من الأوبئة ومن أخطرها الوباء الذي أصاب مدينة الجزائر عام 1787م، وذلك لما خلفه من ضحايا وقد قيل أنه فتك بثلث السكان وقد قدر بحوالي 240 ضحية يوميا لمدة أربعة أشهر متتالية، وكان بابليك قسنطينة من المناطق الأكثر تضررا بهذا الوباء[2].

عرفت مدينة الجزائر فترة من الراحة بعد أن رحل هذا الوباء ولم يعاود الظهور إلا في سنة 1817م واستمر إلى سنة 1832م فحصد العديد من الضحايا وذلك لما ذكره الزهار: "وبعد شهرين ونصف من ولاية حسين داي 1818م كان الوباء قد أشعل ناره وفي سفرنا للحجاز وقت الضحى وصلت مئة جنازة" [3].

ولم تكن الأوبئة وحدها المتسببة في تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، بل ساهمت معها ظهور الكوارث الطبيعية مثل الجفاف والجراد والزلازل والفيضانات التي أدت إلى تردي الأحوال الصحية وتضرر الاقتصاد، وفي أواخر القرن 18م حدثت عدة زلازل أبرزها زلزال مدينة وهران سنة1790م والذي خلف 1000 ضحية، وقد تكررت هذه الزلازل مثل زلزال عنابة 1810م وزلزال متيجة 1825م الذي أدى إلى خراب مدينة البليدة، أما الجراد والجفاف

[1] ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص216

[2] صالح العنتري، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها**، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص33.

[3] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص151.

فقد تسببا في حدوث مجاعات وهلاك الكثير من السكان، أبرزها مجاعة سنة 1778م و1779م ومجاعة 1787م و1789م[1].

أما في ما يخص الجانب الثقافي فقد ارتبط الوضع الثقافي عامة والحياة الفكرية خاصة في الجزائر خلال العهد العثماني بالمؤسسات التعليمية وتأثر إلى حد كبير بدور الفقهاء في المدن وشيوخ الزوايا في الريف[2]، حيث كانت المؤسسات التعليمية في العهد العثماني مرتبطة بالمساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا التي كانت منتشرة في المدن والأرياف، وكانت تقوم على نشر علوم الدين وحفظ القرآن الكريم ونشر المعارف والثقافة الدينية، وهذا ما أثار انتباه الفرنسيين عند احتلال الجزائر[3].

ومن أشهر الزوايا والمدارس التي كانت موجودة بالجزائر نذكر الجامع الكبير وجامع كتشاوة وزاوية سيدي عبد الرحمان، أما بقسنطينة نجد مدرسة الجامع الأعظم وغيرها من المدارس التي كانت منتشرة في البلاد[4]، حيث عملت هذه المدارس على تخريج العديد من العلماء المتميزين والفقهاء الذين تولوا الوظائف التعليمية[5].

وقد أولى الحكام العثمانيون أهمية للعلماء والفقهاء، حيث تمكن بعضهم من تولي مناصب مرموقة في الحكم، فتولوا القضاء والإفتاء والإمامة والخطابة، وكانوا يمثلون الرأي العام في الجزائر، ومثلوا صلة بين السلطة والسكان وعاملا مهما في اكتساب الشرعية السياسية لأنظمة الحكم في الجزائر وشرحها للعامة[6].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، **الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي في الجزائر أثناء العهد التركي**، مجلة الثقافة، العدد 92، الجزائر،1998، ص101.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **ولايات المغرب العثمانية**، المرجع السابق، ص141.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص217.

[4] يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة بالجزائر المحروسة**، ط1، دار المغرب الإسلامي، الجزائر، 1995، ص59.

[5] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ص 268-269.

[6] ناصر الدين سعيدوني، **ولايات المغرب العثمانية**، المرجع السابق، ص 152 ،.

ولهذا السبب بادر الحكام إلى رعاية الفقهاء والعلماء وإدراجهم في سلك الوظيف الديني للدولة، وقاموا بتأسيس العديد من المدارس وتقديم المساعدة لكثير من الزوايا، فقد أسس محمد الكبير باي الغرب سنة 1799م مدارس بمستغانم ووهران، كما اهتم صالح باي سنة 1792م بشؤون التعليم في قسنطينة، وأدخل إصلاحات عليه وقام ببناء مدرستين (سيدي الكتاني1776م، وسيدي الأخضر 1779م)[1]، أما عن الريف فقد كانت الزوايا وشيوخها لهم مكانة مميزة وذلك لما تلعبه الزوايا من تقديم للمساعدات والخدمات التعليمية، وهذا ما ساعد على انتشار حركة التصوف ببلاد المغرب منذ القرن8هـ- 14م والتي ارتبطت بانتشار الزوايا وتعدد الطرق الصوفية[2].

التركيبة السكانية:

إن البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري[3] كانت تتميز بتنوعها العرقي القبلي خارج المراكز الحضارية وتنوعها الطائفي داخلها[4].

1- سكان المدن: يتكون سكان المدن من عدة فئات.

<u>الأتراك:</u> وقد قسمهم "هايدو" إلى صنفين: صنف الأتراك الأصليين الذين يأتون إلى الجزائر يوميا من الإمبراطورية العثمانية بحثاً عن الثروة، خاصة في ميدان القرصنة، ويأتون من الأناضول أو تركيا الآسيوية ومن رومانيا أو تركيا الأوربية[5]، وقد احتل هذا الصنف المرتبة الأولى في السلم الاجتماعي، حيث ضم في صفوفه القادة العسكريين والموظفين الساميين من السياسيين والإداريين[6].

[1] يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة بالجزائر المحروسة**، المرجع السابق، ص45.

[2] يحي بوعزيز ، المرجع نفسه، ص ص225-230.

[3] ينظر الملحق رقم 2، ص 70.

[4] مكحلي محمد: مرجع السابق، ص131.

[5] صالح عباد: المرجع السابق، ص356.

[6] وليام شالر: المصدر السابق، ص54.

أما الصنف الثاني هم أتراك العقيدة وهم المسيحيون المرتدون عن دينهم، وهم الذين يعرفون باسم الأعلاج، وهم أكثر عددا من الأتراك الأصليين[1]، وتعود أصولهم إلى مختلف بلدان أوروبا، وقد انخرط معظمهم في البحرية الجزائرية[2].

وقد كان عدد الأتراك غداة الاحتلال الفرنسي يتراوح بين حوالي عشرة آلاف وثلاثين ألف نسمة[3].

الكراغلة[4]: هم أبناء الأتراك من أمهات جزائريات فهم أقرب إلى الأهالي، إذن من قرب قرب الأتراك إليهم يشكل هؤلاء الكراغلة طائفة فوق الطوائف الأخرى، ولكن تحت طائفة الأتراك ووجود هذه الطائفة يعبر بوضح عن إرادة الأتراك في الحفاظ على نقاوة طائفتهم وعن إرادتهم في تجنب الاختلاط بأهالي البلاد، خاصة وكان عددهم يفوق بكثير عدد الأتراك ويتواجدون في المدن التي تتمركز بها الحاميات التركية مثل بجاية وتلمسان وعنابة وقسنطينة كما كانوا يتواجدون في الأرياف الجزائرية[5].

حسب تقديرات بوتان كان عددهم يبلغ خمسة آلاف نسمة عام 1808م[6].

الحضر: هم الذين يقطنون المدن بصفة دائمة ويكتسبون أسلوب حياتها وهم صنفان، صنف البلدية، وصنف الأندلسيين.

---

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص356.

[2] عزيز سامح ألتر: **الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية**، ترجمة محمود على عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص136.

[3] محمد مكحلي: المرجع السابق، ص131.

[4] الكراغلة: جمع لمفردة كرغلي، ويعود أصل هذه الكلمة إلى الكلمة التركية المركبة من كول" عبد غلام" و"أوغلوا "ابن" أي " " ابن العبد": ينظر أمين محرز: **الجزائر في عهد الأغوات (1659/1671)**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2011م ص144.

[5] صالح عباد: المرجع السابق، ص ص 357-358.

[6] محمد مكحلي: المرجع السابق، ص131.

فالبلدية: هم الأهالي الذين ولدوا في المدن واستقرت عائلاتهم بها منذ القدم، وكان أغلبهم يزاولون التجارة والصناعة[1]، وأما الأندلسيون هم أولئك الذين جاءوا للبلاد عقب سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس في سنة 1492م، وهم بدورهم ينقسمون إلى مجموعتين.

المدخلون[2]: فكان هذا الاسم يطلق على الأندلسيين القادمين من مملكة غرناطة وما جاورها (إقليم الأندلس بجنوب إسبانيا).

الثغريون[3]: هم المورسكيون الذين قدموا من قطلونية وممالك بلنسية وأرغونة وقشتالة[4].

ومن أشهر المدن التي حلو بها شرشال، تنس، مستغانم، دلس، بجاية، عنابة، الجزائر، وبفضلهم ازدهرت هذه المدن، وتميز الأندلسيون عن غيرهم، بنشاطهم الاقتصادي وممارستهم الفنية[5].

البرانية: وهي عناصر غير قارة نزحت من مناطق مختلفة إلى المدينة للعمل فيها مؤقتا، وهي تنقسم وفق الأصول الجهوية لإفرادها مشكلة عدة جماعات مهيكلة، وقد اختصت كل جماعة من جماعات البرانية في القيام بأعمال معينة وأبرز هذه الجماعات هي: (بنو ميزاب، البساكرة، القبايل، الجيجليون، الأغواطيون)[6].

---

[1] صالح عباد: المرجع السابق، ص358.

[2] المدخلون: جمع لمفردة مدخل، بمعنى الوضيع المزدري، والمدخل حالة من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم، ينظر: أمين محرز، المرجع السابق، ص151.

[3] الثغريون: جمع ثغري وهو المرابط على الثغور أي الحدود التي يخاف منها هجوم العدو، ينظر: أمين محرز، المرجع نفسه، ص151.

[4] أمين محرز، المرجع نفسه، ص151.

[5] إرزقي شويتام: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره**، المرجع السابق ص97.

[6] أمين محرز: المرجع السابق، ص ص 152-156.

الدخلاء: هم الأجانب عن البلاد وليس عن المدينة فقط أو هم الأجانب عن الإسلام، هذه التسمية الأصح، فنجد في خانة الدخلاء العبيد السود والعبيد المسحيين والأحرار واليهود[1].

2- سكان الريف:

وقد كانوا يشكلون أغلبية سكان الجزائر وتتراوح نسبتهم ما بين 90-95%، يتوزعون في المناطق السهلية الجبلية أو الصحراوية وكانوا يمارسون الزراعة وتربية الحيوانات[2].

ويمكن تصنيف سكان الريف في الجزائر إبان العهد العثماني تبعا لعلاقاتهم بالحكم البيلكي إلى الأنواع القبلية التالية:

- قبائل الرعية: تسود فيما كان يسمى بـ " الأوطان" وهي مناطق محيطة بالمدن خاضعة للبايلك.

- قبائل المخزن: وهي قبائل أعوان للسطلة في إخضاع قبائل الرعية، تمثل دورها في جمع الضرائب، وكان بعض قادتها أتراك[3].

- قبائل الأحلاف: وهي القبائل التي كانت تتبادل الخدمات والمصالح مع السلطة، وكانت موجودة أساسا بين قبائل الرعية والقبائل المتنقلة مشكلة مناطق عازلة وأحزمة وقائية للسلطة.

- القبائل المستقلة: كانت موجودة أساسا بالمناطق الجبلية (الظهرة، الونشريس وقسنطينة) وبشمال الصحراء وهي مناطق يقع معظمها في شرق الجزائر وخاصة منه ما كان يعرف ببايلك الشرق[4].

---

[1] صالح عباد: المرجع السابق، ص360.

[2] أرزقي شيوتيام : **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره**، المرجع السابق، ص80.

[3] محمد مكحلي: المرجع السابق، ص ص132-133.

[4] قيرة إسماعيل غربي وأخرون: **مستقبل الديمقراطية في الجزائر**، مركز دراسات الوحدة العربية، المستقبل العربي، بيروت، 2002، ص55

خلاصة الفصل:

وخلاصة ما يمكن قوله أن الجزائر في أواخر العهد العثماني عرفت تدهورا في جميع المجالات:

ففي المجال السياسي عرفت البلاد عدم الاستقرار نتيجة انتشار الفوضى وكثرة الصراعات على السطلة، حيث كثرت الانقلابات التي راح ضحيتها عدة دايات، كما اتسمت هذه الفترة بالطغيان والاستبداد وكذا الأعمال الوحشية والإعدامات المسلطة على السكان، كما شهدت هذه الفترة توتر العلاقات الخارجية بين الجزائر والدول المجاورة، بالإضافة إلى الدول الأوروبية.

أما المجال الاقتصادي فقد أخذ في التقهقر والضعف نتيجة تراجع مداخيل الدولة بسبب تناقص عملية القرصنة، كما ساءت الأوضاع الاقتصادية واقفرت الأرياف والمدن من سكانها وتكاثرت الأمراض والأوبية الفتاكة، مما أثر سلبا على حالة السكان الصحية والمعاشية، وترك آثارا سيئة على أوضاعهم الاجتماعية.

أما في المجال الثقافي فقد عرفت الجزائر ركودا، حيث أن العثمانيين لم يؤسسوا معهدا أو جامعة تضاهي جامع القرويين في فاس، والزيتونة بتونس، أو الأزهر بمصر، ولكن بالمقابل حاول العلماء الجزائريون تنشيط الحركة الثقافية من خلال نقل الشعر والإنتاج الأدبي والمناظرات وآرائهم المذهبية والسياسية إلى الجزائر، وكذا تراجم العلماء وكرامات المتصوفين.

الفصل الثاني

ثورات الطريقة الدرقاوية (1800-1813م)

أولا: الطريقة الدرقاوية: (النشأة، التطور)

ثانيا: ثورة ابن الأحرش الدرقاوي (1800-1807)م

ثالثا: ثورة ابن الشريف الدرقاوي (1805-1813)م

أولا: الطريقة الدرقاوية: (النشأة والتطور)

تنسب الطريقة الدرقاوية إلى " العربي ابن أحمد بن الحسين البوبريجي الدرقاوي[1]، الذي ولد في بني زروال في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن الثامن عشر[2]، وقد أطلق عليه بالدرقاوي نسبة إلى قبيلة درقة التي ينسب إليها، وينحدر منها جده يوسف أبو درقة[3]، وقد قيل أيضا الرقة بمعنى الثوب الرث، ودرق بمعنى أخفى الشيء أو ستره عن الأعين، وهي طريقة دينية صوفية تفرعت عن الشاذلية[4] المنسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي المتوفي سنة 656هـ - 1258م.

وأراد العربي الدرقاوي بتأسيس هذه الطريقة بعث الحياة في التصوف الشاذلي، وبفضل النسب الشريف لمؤسسها استطاعت الطريقة الدرقاوية أن تصبح في ظرف وجيز من أهم الطرق الصوفية في المغرب الأقصى وحتى في الجزائر، وذلك لأنّها طريقة صوفية كما يقول محمد بن جعفر الكتاني الحسني: "مبنية على كسر النفس وإسقاط التدبير والاختيار"، وتقوم مبادئها على كبح جماح الشهوات وإذلال النفس وكسرها عن طريق التقشف في شتى المجالات(الملبس- المأكل- المسكن.....الخ)[5]، وقد انتشرت هذه الطريقة بسرعة كبيرة لاسيما لدى العامة سواء في أوساط القبائل في الريف أو في المدن، واضطهد أتباعها من

---

[1] . هو محمد العربي بن أحمد بن الحسن بن علي محمد بن يوسف ولد سنة: 1150هـ-1737م، نشأ في بيت علم وحفظ القرآن الكريم وهو صغير وينتهي نسبه إلى النسب الشريف صاحب الطريقة الدرقاوية، توفي سنة 1833م، (ينظر: العربي الدرقاوي، **مجموعة رسائل مغربية**، تحقيق سالم بارود تقديم أحمد ابن الخياط الزكايري، المجمع الثقافي، أبو ظبي،1999، ص ص 35-57.

[2] . صالح عباد، المرجع السابق، ص 194.

[3] . إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية** ، ط1، مكتبة الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص 59.

[4] . يعود تأسيسها إلى أبي الجنيد الذي تأثر به الشيخ أبي مدين شعيب بالأندلس (ت: 594هـ)، تتلمذ على يد الشيخ عبد السلام بن مشيش، ويعود مصدر الطريقة الشاذلية إلى علماء تأثر بهم أبو علي الشاذلي وتنسب إليه، وقد انتشرت الطريقة في شمال افريقيا. ينظر: إدريس بن خويا: **واقع الطرق الصوفية بإقليم توات**، بين المرجعية المعرفية والممارسات العلمية، الملتقى الدولي الحادي عشر(التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة)، جامعة أدرار، أيام 9/ 10/ 11، نوفمبر 2008، ص 464.

[5] . ادريس بن خويا، المرجع نفسه ، ص 281.

طرف المولى سليمان سلطان المغرب لأنّه رأى في بعض تعاليم هذه الطريقة خطر على قيم المجتمع وتقاليده وتتمثل أصول هذه الطريقة في:

- الاجتهاد وإتباع الكتاب والسنة والتخلق بمكارم الأخلاق، بالإضافة إلى تهذيب النفس وإحياء القلوب، وقد انتشرت هذه الطريقة في أوساط السكان، وكانت لها مراكز رئيسة[1] في ناحية وهران والجنوب من التيطري[2].
- هي أكثر الطرق شعوذة وتزمتا وعنفا ومعاداة للحضارة الغربية، امتد نفوذها إلى توات، القرارة وحتى إلى النيجر[3]، يتميز أتباعها باللحى الطويلة، وارتداء الخرق والعقد المشكلة من حبات خشبية كبيرة، وحمل العصا، واشتهر كل درقاوي باسم بودربالة، وأكبر الحركات التمردية التي كان على رأسها درقاويون ضد الأتراك وهي الحركة التي قادها ابن الاحرش في الناحية الشرقية، والحركة التي قادها عبد القادر بن الشريف الساحلي في الناحية الغربية[4].

[1]. المنصور محمد، **المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين، (1792م-1822م)**، ترجمة، محمد جيدة، ط 1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006م، ص 282.

[2] . صالح عباد، المرجع السابق ص 194.

[3] Cappolani (x) Depont (o)**, les confréries religieuses musulmans.** Alger.1897.Resume. Bou-Nouh.1937.p89

[4] . صالح عباد، المرجع السابق ص 194.

ثانيا: ثورة ابن الأحرش الدرقاوي:

أ- شخصية ابن الاحرش:

لقد اتصفت شخصية ابن الاحرش بالغموض، فكل ما عرف عنه هو ما وصلنا عن طريق الأعمال التي قام بها والأحداث التي تنسب إليه، وذلك راجع إلى طبيعة حركته المعادية للعثمانيين والتي كانت تتصف بالدعاية السرية، وهذا ما جعل معرفتنا لهذا الرجل الثائر لا تتجاوز ما وصفه به أعداؤه وما أشارت إليه المصادر المعاصرة التي كانت تعتبر حركته خروجا عن الحكم الشرعي بالبلاد[1]، قال عنه الزياني في دليل الحيران بأنه:" فتى مغربي مالكي مذهبا درقاوي طريقة درعي نسبا "[2]، أما الشيخ المبارك فيقول عنه بأنّه: " رجل مغربي يزعم أنّه من شرفاء فاس".

فهو محمد بن عبد الله بن الحرش المشهور عند العامة "**بالبودالي**"، نسبة إلى أبدال الصالحين[3]، وهنا نلاحظ أنّ نسبته إلى المغرب الأقصى لا تعني قطعا أنّه من تلك البلاد، فقد جرت العادة في تلك الفترة الإسلامية وحتى أوائل عهد الاحتلال الفرنسي أن كل غريب يدعي النسب الشريف ويدعو إلى طريقة سلفية، وذلك حتى يكسب لنفسه مكانة في أعين العامة ويصبغ على حركته نوعا من المهابة ويبعد عن نفسه الانتماء الجهوي، أو الانتساب القبلي الذي يتسبب في حدوث المنافسات والعداوة بين القبائل المختلفة[4].

أما المصادر الأجنبية فقد وصفته بأنّه رجل في مقتبل العمر طويل القامة، أشقر اللحية، يتمتع بصحة جيدة، ويتميز بفصاحة اللسان وبسعة أفقه وشجاعته[5].

---

[1] . ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط:2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص 265.

[2] . محمد مكحلي ، المرجع السابق، ص 168.

[3] . محمد يوسف الزياني، **دليل الحيران، وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 207.

[4] ناصر الدين سعيدوني، ، **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص 266.

[5] . محمد مكحلي، المرجع السابق، ص 168.

ومن خلال الأحداث التي عاشها ابن الأحرش يمكن أن نقسم حياته إلى ثلاثة مراحل: فالأولى انتقل أثناءها إلى المشرق لأداء فريضة الحج، والثانية تزعم خلالها الثورة بالشمال القسنطيني ضد حكم البايات، والمرحلة الثالثة انتهت باختفائه وموته[1].

عند عودته من مكة بعد أدائه لفريضة الحج، صادف ابن الاحرش الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت، فشارك في مقاومتها مع جماعة من أهالي المغرب الأقصى والجزائر إلى جانب الجيش المصري، فأظهر شجاعة وبلاء، الأمر الذي أكسبه شهرة ولما تدخل الانجليز وعادت الحملة الفرنسية رجع ابن الأحرش إلى بلاد المغرب، فتوقف في تونس تعرف خلالها على حمودة باشا باي تونس الذي أوعز إليه بمحاربة أتراك الجزائر ووعده بالدعم كما يذكر الشريف الزهار[2].

ب- أحداث الثورة وتطوراتها:

بعد أن نزل ابن الاحرش بتونس انتقل إلى عنابة على ظهر سفينة انجليزية، واستقر بمدينة جيجل ثم توجه إلى قسنطينة للتعرف على أحوالها[3]، وقد ساعده الاستقرار في جيجل فبدأ بنشر دعوته ويحضر نفسه لإعلان الثورة على السلطة الحاكمة في بايلك الشرق، واستطاع أن يكسب تأييد العديد من القبائل[4] كبني مسلم وبني خطاب وأولاد عبدون وغيرهم[5].

وغيرهم[5].

ومما جعل هذه القبائل تسير على خطاه هو استقراره بزاوية سيدي الزيتوني بناحية جيجل لتفقيه الناس، كما أسس معهد ببني فرقان لتعليم الصبية والطلبة القرآن الكريم ومبادئ الفقه[6]، وقد ذكر الزياني أن ابن الاحرش: "ادعى أنه الإمام المهدي المنتظر وكان صاحب

---

[1] . ناصر الدين سعيدوني ، و**رقات جزائرية**، ص 267.

[2]. صالح عباد، المرجع السابق، ص: 194-195.

[3]أرزقي شويتام: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره**، المرجع السابق، ص 92.

[4]ينظر الملحق رقم 3، ص 71.

[5] صالح العنتري: **تاريخ قسنطينة**، المصدر السابق، ص 70.

[6] صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، المصدر السابق، ص 29.

شعوذة وحيل فرأى الناس منه العجائب وأظهر لهم الغرائب فنصروه وعمدوا له البيعة حزبا حزبا"[1].

أما العنتري فقد قال عنه:" زعم أنه صاحب الوقت وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيث ما توجه وبارود عدوه لا يضره ولا يصيب أتباعه"[2].

أما عن الأسباب والعوامل التي ساعدت ابن الاحرش في القيام بثورته، نذكر منها توفر عنصر الزعامة المتمثل في شخصيته التي تتصف بالمغامرة والطموح والدهاء، حيث استطاع إقناع سكان الشمال القسنطيني بصحة دعوته وصدق أقواله، وأن يصل إلى هدفه باستعمال أساليب بسيطة تتلاءم وعقلية أهالي الريف، كما نجد استعداد السكان للثورة عاملا مهما وهذا راجع إلى التصرفات الجائرة لبعض الحكام وإتباعهم سياسة مالية مجحفة ضدهم، وبسط نفوذهم على بعض المناطق التي ضلت ممتنعة عن سلطتهم[3].

سار ابن الاحرش إلى مدينة قسنطينة في جيش كبير ضم جموع القبائل المنضوية تحت لوائه " كأولاد دراج، ومعايد وأولاد خلوف وأولاد إبراهيم وأولاد عباس" وقد قدرهم العنتري في عشرة آلاف مقاتل، بينما يرى **دونفو (Denveu)** أنهم بلغوا ما بين عشرة آلاف واثني عشر ألف مقاتل[4].

استغل ابن الاحرش وأتباعه غياب الباي عثمان[5] الذي كان بنواحي سطيف يجمع الضرائب، فلما وصلوا إلى قسنطينة وجدوا أبوابها مغلقة، فهاجموها ولم يستطيعوا دخلوها فحاصروها، واستولى ابن الاحرش على الضواحي الواقعة بالقرب من المدينة مثل كدية عاتي وباردو، وسارع الكثير منهم إلى نهب الفنادق والاستحواذ على الملابس المختلفة وغيرها من

---

[1] محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 207.

[2] صالح العنتري: **تاريخ قسنطينة**، المصدر السابق، ص 207.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص ص 281-282.

[4] محمد مكحلي: المرجع السابق، ص ص 169-170.

[5] الباي عثمان هو ابن محمد الكبير الذي يرجع له الفضل في تحرير وهران من الاحتلال الاسباني سنة 1792م، تولى تسير شؤون بايلك الغرب بعد وفاة أبيه، وبعدها عزل واستدعى إلى مدينة الجزائر وعين بايا على بايلك الشرق، ينظر صالح العنتري: **تاريخ قسنطينة**، المصدر السابق ص 71.

الأشياء متجاهلين نصيحة ابن الاحرش بأن يكفوا عن أعمال النهب والتوجه لدخول المدينة[1].

وفي هذه الأثناء بادر سكان قسنطينة وفي مقدمتهم الحاج أحمد ابن الأبيض والشيخ محمد الفقون الذي جهز جيشا بلغ عدده حوالي ألف مقاتل، فالتقى الجمعان في عقبة الصمارة واشتد القتال[2]، وانهزم ابن الأحرش وأتباعه بعدما قتل منهم الكثير، وتكبد ابن الأحرش هزيمة نكراء وتلاشت قواته، بعدما أصيب بجروح، فيقول آغا المزاري:" فالقاه حزم وأصيب بالرصاص في فخذه، فانكسرت لكن حاله لا تزال مجتمعا غير مشتت"[3]، فتراجع ابن الأحرش وأتباعه وتوجهوا إلى مدينة جيجل، ولما وصل خبر الهجوم على قسنطينة للباي عثمان فعاد مسرعاً[4]، وقام أتباعه بملاحقة ابن الاحرش ومن معه واستطاعوا قتل العديد منهم، عاد الباي إلى قسنطينة وكتب إلى حاكم الجزائر مصطفى باشا عن أحداث محاصرة قسنطينة رد عليه الداي حيث قال له: رأسك أو رأس ابن الأحرش[5].

ومن جهة أخرى نجد توفر الظروف الدولية المساعدة، وذلك للتنافس الشديد الذي كان قائما بين الدول الأوربية في طليعتها انجلترا وفرنسا على اكتساب مناطق النفوذ في الولايات العثمانية ومن ضمنها الجزائر وتونس، وكذلك رغبة باي تونس حمودة باشا في مساعدة ابن الأحرش على الثورة ضد الأتراك بالجزائر[6].

قام ابن الأحرش بتسليح إحدى سفنه وأمر بحارتها بالإغارة على سفن فرنسية كانت تصطاد المرجان في السواحل الشرقية للجزائر، واستطاعوا الاستيلاء على إحدى السفن الفرنسية، وقتل عدد من بحارتها وأسر 34 شخصا[7]، ثم توجه بهم إلى وادي الزهور، وهذا ما

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص 270.

[2] العنتري: **مجاعات قسنطينة**، المصدر السابق، ص29.

[3] الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م**، تحقيق ودراسة يحى بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 301

[4] .أوجين فايست : **تاريخ بايات قسنطينة في العهد العثماني(1792-1830)م**، ترجمة صالح نور، تقديم عبد الرحمان شيبان،ج2، الجزائر،2013، ص116.

[5] عبد الرحمن الجيلاني: المرجع السابق، ص 296.

[6] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 283.

[7] أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره** ،المرجع السابق ، ص 93.

ما دعم موقفه في تلك القبائل وزاد من التفاف الناس حوله، وعندما تفطنت حكومة الداي إلى خطورة الأمر أرسلت أربعة سفن مسلحة إلى مرسى الزيتون بالقرب من مصب وادي الزهور لتهدئة القبائل والقبض على ابن الأحرش[1].

لكن الأتراك لم يتمكنوا من إلقاء القبض على قائد الثورة ولا من استمالة السكان الذين رفضوا تسليمه، فعادت المراكب إلى الجزائر وحينها استولى ابن الأحرش على مدينة القل بعد أن انسحب الأتراك منها، و لما عبر عن نيته في الاستيلاء على عنابة انسحبت حاميتها إلى قسنطينة[2].

وفي الفترة من 10 جوان إلى 20 جويلية 1804م- 1219هـ[3]، أعلن ابن الأحرش الجهاد للقضاء على سلطة البايلك وتأسيس حكومة تقوم على المبادئ الإسلامية وأمر أتباعه بمهاجمة الحاميات العثمانية والاستيلاء على مراكزها[4].

قام الباي عثمان بتجهيز المحلة بعد أن نظم الدفاع ورتب العساكر[5]، وجمع أعدادا كبيرة من رجال الدوائر والاعراش[6]، وخرج لملاحقة المتمردين بحيث أخذ كل ما كان يوجد في الخزينة من أموال وابن الأحرش كان مستقرا في وادي الزهور[7] في موقع محصن تحيط به جبال مكسوة بالغابات وهاويات صعبة المنفذ[8]، وفي طريقه إلى ابن الأحرش مر الباي عثمان بالعديد من القبائل وقام بتهديدها وأخذ بنصيحة أحد المرابطين وهو المرابط بغريش من بني صبيح (1804م 1219هـ) الذي هون عليه أمر القضاء على البودالي، وذلك بإرسال فرقة صغيرة تتكون من 500 فارس من الجند المحاربين.

---

[1] ناصر الدين سعدوني، **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص 268.

[2] صالح عباد: المرجع السابق،ص198.

[3] ينظر الملحق رقم 4، ص 72.

[4] ناصر الدين سعدوني ، **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص 269.

[5] صالح العنتري: **تاريخ قسنطينة**، المصدر السابق، ص70.

[6] صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، المصدر السابق، ص30.

[7] هو واد يقع بالقرب من مدينة القل ويصب في البحر الأبيض المتوسط ولا يزال يحمل نفس الاسم إلى اليوم.

[8] أوجين فاسيت: الصدر السابق ، ص 117.

لم يكن الباي يعلم بأن هذه المكيدة دبرها له هذا المرابط وكادت الفرقة تباد حيث حاصرتهم القبائل من كل جهة وقتل المرابط بغريش، وبقي أفراد الفرقة محاصرين لمدة أربعة أيام، فلما سمع الباي عثمان بالخبر ارتحل هو وجنده إلى وادي الزهور الذي كان يعرف بالمرجة وتوجه لنجدة الفرقة المحاصرة[1]، فلما توغل في هذه المنطقة أخذت الطلقات النارية تنصب عليه من كل جهة، ولم يستطع التراجع لأن الطريق كانت مقطوعة، واضطر إلى أن يعسكر في وادي الزهور[2]، فلما حل الليل انتهزت القبائل فرصة نزول المطر لتحويل مجرى السيل إلى السهل الذي عسكر فيه الباي وجنده وتحول السهل إلى مستنقع، حيث يذكر الشريف الزهار المكيدة بقوله" فأطلق هؤلاء الماء على تلك الأرض التي بها المحلة فصارت مثل السبخة حتى ابتلعت أرجل الخيل إلى البوادر والرجال إلى الركبة ثم حملوا المحلة وقتلوا الباي ومن معه ولم ينجوا منهم إلا القليل"[3].

فالباي لما تيقن من فشل خطته حاول فك الحصار المضروب والتراجع إلى ناحية ميلة ولم يجد مسلكا سوى ممر بوعذر يوجد في أسفله مستنقع فسقط فرسه إلى حافة السهل وعند ذلك اغتنم الفرصة المرابط الزبوشي الذي كان يحقد عليه فقتله ووبقيت جثته ملقاة في العراء مع العديد من أفراد جيشه، وبعد خمسة أيام تم نقل جثته ودفن في قبيلة أولاد عواط [4]، وهناك من يذكر أنه دفن في نفس المكان الذي قتل فيه بعد تلك المعركة التي تسمى بمعركة وادي الزهور التي تعتبر من أهم المعارك التي خاضها أهل قسنطينة خارج المدينة[5].

ويقول ابن سحنون الراشدي صاحب الثغر الجماني:" أن الداي ارتاع لما بلغه الأمر وجهز جيشا قويا وعين الباي عبد الله[6] مكان عثمان القتيل وأمره بالقضاء على الثورة، ثم

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص 273.

[2] أحين فايست، المصدر السابق، ص 117 .

[3] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 86.

[4] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص 275.

[5] مجهول: **تاريخ بايات قسنطينة في المرحلة الأخيرة**، تحقيق حساني مختار، مطبعة دحلب، الجزائر، ص 27.

[6] الباي عبد الله بن اسماعيل عينه الداي مصطفى بعد مقتل الباي عثمان حيث عمل على القضاء على ثورة ابن الاحرش الاحرش واتباعه، للمزيد ينظر: صالح العنتري، **تاريخ قسنطينة**، المصدر السابق، ص73.

كاتب الداي الفكون ومن خلاله سكان قسنطينة لإظهار تعاطفه معهم وتهدئة روعهم والتخفيف عنهم".

امتثل الباي الجديد لأوامر الداي فلحق بابن الأحرش في نواحي ميلة، فالتقى الجيشان إلا أن الحظ خدم هذه المرة الجيش التركي إذ انتصر الباي وتفرقت جموع ابن الاحرش[1]، وقد أشيع وقتها أن ابن الأحرش لقي حتفه، لكن سرعان ما عاد للظهور بعد أسابيع قليلة في جموع غفيرة، حاصر بها مدينة بجاية عام 1806[2]، لكنه انهزم من طرف فرق البلداش وآل مقران[3].

لقد اختلفت الروايات في نهاية ابن الأحرش، فمنهم من قال أن ابن الأحرش لما ضاق عليه الخناق انتقل إلى بايلك الغرب والتحق بابن الشريف الدرقاوي وخاض معه العديد من المعارك، وقام هذا الأخير بقتله لأنه رأى فيه منافسا له[4].

ووافقه في ذلك محمد بن عبد القادر الذي ذكر بأن ابن الأحرش التحق بالشريف الدرقاوي وبقى في معيته إلى أن دس له من قتله من أصحابه، ودفن في المغرب الأقصى بفاس[5]، ومنهم من خالف هذا الرأي بقولهم بأن ابن الأحرش لم يلتحق بالمغرب إذ قتل في إحدى المعارك التي جمعته مع أتباع المقراني والفرق العسكرية التابعة للسلطة الحاكمة في المنطقة في ضواحي سطيف سنة 1807م[6]، ثم ظهر شخص آخر ادعى أنه ابن اخ ابن الأحرش وسمى نفسه محمد بن عبد الله يدعو الناس إلى الجهاد لطرد الأتراك، واستمرت

---

[1] ابن سحنون الراشدي، أحمد بن محمد بن علي: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني** تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي، قسنطينة، 1973، ص 43.

[2] محمد مكحلي ، المرجع السابق، ص 172.

[3] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، مرجع السابق، ص277.

[4] أحمد الشريف، الزهار، المصدر السابق، ص87.

[5] محمد بن عبد القادر مسلم، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر** ،ج1،المطبعة التجارية ،الاسكندرية ، ، ص 77.

[6] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص277.

حركة هذا الثائر عدة سنوات ولم يتمكن جيش الباي من وضع حد لها إلا بعد جهود مضنية[1].

ج - فشل الثورة ونتائجها:

يعود فشل ثورة ابن الاحرش لعدة أسباب:

1- عدم تمكن الطريقة الدرقاوية من إيجاد أنصار لها بالشرق الجزائري، وذلك لكون أغلب العشائر والقبائل كانت تدين بالولاء لشيوخها الذين ينتمي أغلبهم للطريقة الرحمانية المهادنة للأتراك والمتعاونة مع سلطات البايلك، والدليل على هذا القول انتقاله إلى الغرب الجزائري بعد أن فشل في إيجاد أتباع للطريقة الدرقاوية التي يتزعمها، حيث لم ينظم إليه من شيوخ الزوايا والمرابطين سوى من كان ناقما على الباي عثمان، مثل محمد بن عبد الله الزبوشي والمرابط بن بغريش[2].

2- عدم اغتنام ابن الأحرش الفرصة المواتية للقضاء على نفوذ البايلك، سواء عند مهاجمته في أول الأمر قسنطينة أو آثر القضاء على المحلة التركية وقتل الباي عثمان بوادي الزهور، مما مكن لسكان قسنطينة والحكام الأتراك من تنظيم أنفسهم وجلب الامدادات من مدينة الجزائر.

3- انتهاج البايلك سياسة الترغيب والترهيب التي أعطت نتائج إيجابية، ومكنت في آخر الأمر من عزل ابن الأحرش عن أغلب القبائل التي ناصرته في أول الأمر، ففي هذا المجال بادر رجال البايلك إلى منح المكافآت وإعطاء الوعود وتخصيص الهدايا لأعيان المدن وشيوخ القبائل والزوايا الذين أبدوا معارضتهم لابن الأحرش[3].

---

[1] محمد مكحلي ، المرجع السابق، ص172

[2] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص286.

[3] صالح العنتري، **تاريخ بايات قسنطينة**، المصدر السابق، ص ص 49-50.

4- نفور سكان المدن من ابن الأحرش ومعاداته شيوخ القبائل له، ويعود السبب في ذلك إلى تعارض المصالح واختلاف طرق العيش وأسلوب الحياة بين أهالي الريف وسكان الحواضر وانعدام الصلة بين الثائرين وعامة الناس بالمدن[1].

لقد أسفرت هذه الثورة عن نتائج خطيرة في التاريخ الجزائري يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1- انخفاض نفوذ البايلك بالأرياف وزيادة انعزال المدن، وذلك نتيجة الخسائر الفادحة في الأموال والأرواح والأسلحة.

2- اقتناع سكان الأرياف بإمكانية الثورة على سلطة البايلك، ورفض دفع الضرائب وعدم الرضوخ للأحكام الجائرة، وشجعت بعض الدعاة على التمرد مثل الثائر الذي ظهر بعد انسحاب ابن الأحرش وادعى أنه حفيده، وواصل المقاومة في الجهات الشمالية الغربية من البايلك.

3- انتشار حركة التمرد في أوساط القبائل الجبلية، ومن أبرزها حركة العصيان التي أعلنها رجال القبائل الثائرة لمدينة المدية عاصمة بايلك التيطري.

4- اضطراب الأحوال الاقتصادية في البلاد، حيث أهملت الفلاحة واختفت الأقوات وحدثت مجاعة عانى منها سكان الأرياف والمدن على حد سواء، ومما زاد في خطورة هذه الأوضاع الاقتصادية حدوث الجفاف بجهات الشرق الجزائري بين سنتي 1808م و1809م مما أدى إلى ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة[2].

5- تعتبر ثورة ابن الأحرش ثورة شعبية على المظالم والقهر الذي كانت تعاني منه الأرياف الجزائرية أواخر العهد العثماني، وذلك من جراء السياسة المالية الثقيلة للبايلك والتصرفات الجائرة لبعض الحكام.

---

[1] صالح العنتري، **تاريخ بايات قسنطينة**، المصدر السابق، ص 41.

[2] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص ص 291-293

6- ظلت هذه الثورة ملحمة شعبية تتناقلها الأجيال وتحاول الاقتداء بها في التحدي للاستعمار الفرنسي ومقاومة مشاريعه الاستيطانية، فكانت هذه الثورة تجربة فريدة في رفع الظلم ودرسا في أن القوة الحقيقية للجزائر خلال القرنين 19و20م تكمن في الريف المستند إلى الوازع الديني الذي كانت تمثله الزوايا والطرق الصوفية[1].

ثالثا- : ثورة بن الشريف الدرقاوي 1809/1804:

أ- شخصية ابن الشريف الدرقاوي:

هو محمد بن عبد القادر بن الشريف الدرقاوي الفليتي، ويعود أصله حسب المصادر المحلية إلى قبيلة بربرية هي كسانة القاطنة جنوب سهل غريس القريب من معسكر[2]، قال عنه مسلم بن عبد القادر: " أنه رجل من أولاد أبي الليل المرابطين بقبيلة الكسانة، حي من أحياء العرب البادية متوطنا بوادي العبد، واسم هذا الرجل عبد القادر بن الشريف"[3]، ويوافقه هذا الرأي محمد بن عبد القادر الجزائري[4].

درس بن الشريف الدرقاوي بمسقط رأسه ثم التحق بزاوية القيطنة ثم انتقل إلى المغرب الأقصى حيث التقى بالشيخ العربي الدرقاوي بزاوية بوبريج، واتبع طريقته وعينه هذا الأخير مقدما للطريقة الدرقاوية[5].

ثم عاد إلى مسقط رأسه وأسس زاوية لتلقين الناس أوراد طريقته بعد ما ترك تعليم القرآن للطلبة ولبس المرقعة وركب الكلخ وعلق الببوش والقرون معه[6].

كان ابن الشريف يجول البلاد لنشر تعاليم طريقته التي وجدت صدى كبيرا في أوساط السكان وكان أتباعه يحترمونه ويقدمون له الهدايا[7].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص ص294-295.

[2] المزاري طلع السعود: المصدر السابق، ص 301.

[3] مسلم عبد القادر، **أنيس الغريب والمسافر**، تح وتق، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1974، ص 71.

[4] محمد بن عبد القادر: المصدر السابق ،ص 115.

[5] محمد مكحلي ، المرجع السابق، ص 176.

[6] محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص273.

[7] الآغا المزاري: المصدر السابق، ص 302.

وفي هذا الصدد يقول الزياني: " كلها شيعته تهدي إليه الهدايا وتعطي العطايا"، وأثناء لقاءاته مع مختلف القبائل التي كانت تشكو إليه ما أصابها من ظلم جراء ما يفرضه الأتراك من ضرائب " فكان يعدهم بالفرج"[1].

ب - أحداث الثورة ومراحلها[2]:

لقد اجتمعت مجموعة من الأسباب ساعدت على قيام الثورة الدرقاوية ولعل أبرزها:

- فساد النظام السياسي العثماني الذي أدى إلى إحداث خلل في العلاقة بين للسكان والسلطة، وهو ما انعكس سلبا على الأوضاع الاجتماعية للسكان[3].

- السياسة المالية المجحفة التي انتهجها النظام العثماني أواخر عهده بعد ضعف موارد البلاد، نتيجة تغير الظروف الدولية وتغير موازين القوى، فما كان منه إلا الضغط على الأقاليم لمضاعفة الضرائب[4]، فهذه السياسة أدت إلى إحداث القطيعة بين شيوخ الطرق الصوفية والسلطة الحاكمة[5].

- الدعم المعنوي الذي لقيته الطريقة الدرقاوية من المغرب الأقصى، فأصل الطريقة من المغرب، كما أن سلاطين المغرب الأقصى كانوا في عداء مع الأتراك، لذا حاولوا مساعدة وتدعيم الثوار ضد الأتراك في الجزائر[6]. وقد مرت هذه الثورة بثلاثة مراحل:

---

[1] محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 273.

[2] ينظر الملحق رقم 5، ص 73.

[3] سفيان صغير: **العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات (1671-1830)م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012، ص92.

[4] ناصر الدين سعدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ، العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 108.

[5] ناص الدين سعيدوني: **تدعيم الحكم التركي في الجزائر**، مجلة الأصالة، العدد 32، الجزائر، 1976، ص 50.

[6] الصغير عبد المجيد: **خصوصية التجربة الصوفة في المغرب**، رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص110.

أ- المرحلة الاولى: (1800م/1807م):

بعدما تكونت لدى ابن الشريف روح الثورة وحدثته نفسه ورغب في المبايعة، أصبح يدعو إلى الطريقة الدرقاوية ثم زحف بأتباعه سنة 1802م إلى الشمال، واستطاع أن يكسب العديد من القبائل القوية[1]، وأخذ يجند هذه الأخيرة وأنشأ الزوايا بسهول غريس وجبال بني شقران، إلا أنه اصطدم بشيخه محي الدين[2] الذي كان له نفوذ في المنطقة مما جعله ينتقل إلى الصحراء ليستقر عند قبائل شافع والمهاجة وحميان، وبقي عندهم مدة يحرضهم على الثورة[3].

استغرقت عملية الإعداد للثورة وجمع عدد كبير من الأنصار مدة خمس سنوات (1800-1805)م، ثم صادف استعداده انهزام أحد المحلات العثمانية أمام قبائل الأنجاد المتمردين ضدهم سنة 1802م، فاستغل ابن الشريف هذا الوضع ليعلن الثورة وتوجه برجاله نحو البطحاء حيث كان يعسكر عند منبع واد مينه بالقرب من تاكدمت[4].

فنزع عن نفسه اللثام الذي قدمه له الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وأعلن بداية الجهاد وقد كان يحذر كل من يعترضه ولا ينظم إليه بالعقاب الشديد وبعد عودته من الحملة وصلت أخبار ثورته إلى مسامع باي وهران مصطفى المنزلي، مما جعل هذا الأخير يسير إليه بكل ما أوتي من قوة، والتقى به في فرطاسة عند التقاء واد مينة وواد العبد يوم 4 جوان 1805م[5].

كانت المباغتة في صالح ابن الشريف الدرقاوي، كما كان عدد القوات في صالحه فأمكن له أن يشتت شمل القوات التركية، ففر جنودها كما فر الباي أيضا إلى معسكر تاركا

---

[1] أحمد سيدهم: **مكانة التصوف في الحياة الاجتماعية والسياسية في العهد العثماني بالجزائر**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد1، 2014، ص 32.

[2] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 115.

[3] عبد الرحمن الجيلاني: **تاريخ الجائر العام**، ج3، شركة دار الأمة الجزائر، 2010، ص 292.

[4] غالي الغربي، **ثورة بن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن 19م**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد8، الجزائر، 1994،ص ص60-61.

[5] محمد مكحلي، المرجع السابق، ص 180.

جنوده في فوضى عارمة، واستولى ابن الشريف على معسكر الباي بما فيه[1]، وهذا مما أجبر الباي مصطفى المنزلي بعد انهزامه في معركة فرطاسة أن يرجع إلى وهران ويتحصن في قصبة المدينة، بينما عاد ابن الشريف إلى مدينة معسكر[2]، وبفضل هذا الانتصار انظمت إليه الكثير من القبائل مما ساعده في الزحف إلى مدينة وهران للاستيلاء عليها.

ولما وصل إلى وهران[3]، حاول فتحها ولكنه فشل في ذلك لأن سكان مدينة وهران استعدوا من أجل الدفاع عن مدينتهم، مما اضطر ابن الشريف إلى محاصرتها وقطع الامدادات والطرق عنها[4].

وعلى أثر ذلك قام الداي إلى تغيير باي وهران مصطفى المنزلي بسبب تردده في فك الحصار، وعين مكانه الباي محمد المقلش[5] الذي استطاع بعد توليته أن يمسك زمام المبادرة المبادرة وذلك بإعلانه فتح أبواب وهران التي كان قد أغلقها سلفه لتمكين السكان بالمواد الغذائية، ثم تراجع الدرقاوي حتى منطقة سيق بضواحي مدينة معسكر.

فخرج المقلش لمقاتلة ابن الشريف الدرقاوي سالكا في البداية طريقتين، في بداية ناحية وادي مينة وقد حد من زحف الدرقاوي قبائل البرجية، الأمر الذي شجع المجاهر على الدخول إلى مناطق الدرقاوي وهي القبيلة الحليفة له سبب لها ضربة قوية من الباي المقلش تمثلت في قطع 90 رأسا منهم، ودخل المنطقة واستقر بها ثم واصل حملته وتتبع قبيلة بني عامر وأولاد الزبير ونزل بأرض أولاد سليمان حيث مكث بها وبعدها انتقل إلى جبل تسالة، فعلم أن الثائرين موجودين بالقرب من المكان في جهة وادي العبد وسوق الأحد، وبعد مقاومة

[1] صالح عباد: المرجع السابق، ص 204.

[2] يحي بو عزيز: **المدن التاريخية وهران**، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون ، الجزائر 1985، ص 114.

[3] صالح عباد: المرجع السابق، ص 204.

[4] محمد بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 115.

[5] محمد المقلش :هو الباي محمد بن عثمان ،خامس بايات وهران ،انتقل مع أخيه عثمان إلى مدينة البليدة وأقام فيها، وعند وعند قيام الثورة الدرقاوية رأى حكام الجزائر عجز الباي مصطفى، فعزلوه وعين مكانه الملقش الذي حكم (1805-1808)م، ينظر الآغا المزاري، المصدر السابق ص 312.

غير منظمة انسحب جيش الدرقاوي، واستغل الباي هذا الانتصار للانتقال إلى تلمسان حيث قام بعقد الصلح بين السكان الحضر والكراغلة ومكث بها شهرا كاملا[1].

1 - المرحلة الثانية 1222هـ/ 1223هـ، 1807م/ 1808م:

بعد وفاة الباي المقلش أراد ابن الشريف الدرقاوي استغلال هذا الظرف بمعاودة تجميع قواته بعد تولية الباي مصطفى المنزلي من جديد على وهران، فبدأ الباي عهده الثاني بالسير نحو مناطق درقاوة في ناحية مناطق فليتة وهزمهم المرة الأولى في مناطق الغطالبة ومروسة ثم دخل وهران ثم اتجه نحو قبائل المجاهر المتواجدين على ضفاف نهر الشلف وهناك أتاه نبأ عزله وتعيين محمد بن عصمان بايا جديدا لبايلك الغرب[2].

2- المرحلة الثالثة: (1223-1228)هـ (1808-1813)م

يوصف الباي بوكابوس بأنه رجل حديدي وعنيف وصارم، وبعد توليه الحكم لم ينتظر طويلا لمهاجمة الدرقاويين والقضاء عليهم، والذين كانوا يشكلون عنصر فتنة واضطراب في المنطقة والثورة ضد السلطة الحاكمة، غير أنه قام بأعمال إجرامية في حقهم تنم عن حقده الشديد وطغيانه منها: اقتلاع الأعين وقطع الرؤوس وإرسالها إلى مدينة الجزائر.

لم تزد هذه الأعمال ابن الشريف الدرقاوي وجماعته إلا تشددا وتمسكا بالثورة. فاختفى لحظتها عن الأنظار سنة 1809م خوفا من بطش الأتراك، وعندئذ التجأ عند قبائل الأحرار ثم إلى عين ماضي، فامتنع أهلها عن استقباله وتقديم يد المساعدة له، فطلب الحماية من بني زناسن واستجابوا له، وتزوج بنت الشيخ بوترفاس الدرقاوي من طرارة، ولم يستقر الدرقاوي كثيرا في أراضي بني زناسن حيث كان الباي يترصده ويريده حيا أو ميتا، وقد حاول عدة مرات الوصول إلى هدفه.

إلا أن اختفاء الدرقاوي أخمد نوعا ما لهيب الثورة، وعادت الحياة العادية إلى المنطقة، وفي عام 1813م شهدت محاولتين الأولى بقيادة الشيخ بوترفاس والد زوجة الشريف

[1] محمد مكحلي، المرجع السابق، ص 181.

[2] محمد مكحلي: المرجع السابق ، ص 182.

الدرقاوي والتي قامت في جبل تراره حيث حمل بوترفاس لقب الدرقاوي وجمع حوله بعض القبائل، الأمر الذي جعل الباي يسرع لإخماد هذه المحاولة بالقضاء عليها وعلى قادتها[1].

وأثناء عودة الباي وجيوشه تعرضتهم حملة طبيعة سميت حملة الثلج فقد فيها الجنود ممتلكاتهم، أما عن المحاولة الثانية التي كانت سنة 1813م فإنها تزامنت مع تولية علي قارة باغلي بايا جديدا الذي بدأ مهمته على رأس البايلك بالقضاء على زعماء القبائل المساندة للدرقاوي، ومنهم قدور بن إسماعيل من الدوابر وقائد الزمالة محمد بن قدور، وقد قام الباي بالسير من جبال تراره إلى معسكر فمدينة وهران ثم القضاء على ثورة الدرقاوي[2].

لقد أدت قوة الطريقة الدرقاوية إلى إتساع هوة الخلاف بين الحكام العثمانيين وبين الشعب، نظرا للسياسة القمعية التي اتبعها الأتراك ضد القبائل الحليفة للدرقاوية، كبني عامر التي هاجرت جراء القمع والتنكيل المسلط عليها إلى المغرب الأقصى[3]، وعلى الصعيد الخارجي شجعت سلطان المغرب المولى عبد الرحمن على مهاجمة فيغيغ عام 1805م وواحة قورارة وتوات عام 1808م[4].

3- فشل الثورة ونهايتها:

بالرغم من الصدى الذي لقيته ثورة ابن الشريف والتفاف القبائل من حوله، إلا أنه فشل في مسعاه، وذلك راجع إلى مجموعة من الأسباب يمكن تلخيصها فيما يلي:

- عدم تجاوب سكان المدن وخاصة طبقة الحضر مع دعوة ابن الشريف للقيام بالثورة ضد الأتراك العثمانيين، إذ كانوا منغلقين على أنفسهم، مترفعين عن باقي أهالي الريف الذين كانوا يرون في سكان المدن أعوانا للبايلك، وذلك بسبب الأعمال التخريبية التي قام بها ابن الشريف وأنصاره تجاه قبائل المخزن[5] وممتلكاتهم.

---

[1] المرجع نفسه ، ص 183.

[2] محمد مكحلي: المرجع السابق، ص 183.

[3] الآغا المزاري: المصدر السابق، ص321.

[4] مختار بونقاب: **تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2002/2001، ص 91.

[5] قبائل المخران، قبائل تابعة للسلطة التركية منها الدوابر والزمالة والغرابة أو البرجية.

– فشل ابن الشريف وجيشه في اقتحام مدينة وهران التي حاصرها لمدة 8 أيام، وخاصة بعد دحر أغلب الحاميات التركية وتشتت جيش الباي مصطفى المنزلي في معركة فرطاسة، وذلك لقوة وحصانة مدنية وهران[1].

– قوة الباي عثمان الملقش وسياسته المحكمة والتي استطاع من خلالها إلحاق هزائم كبيرة بابن الشريف، والتقرب من القبائل النافذة في المنطقة، كمصاهرة قبيلة الحشم التي كانت من ألد أعداء العثمانيين[2].

– فشل ابن الشريف في ضم سكان وهران إليه وقبائل المخزن إلى حركته لأنها تحالفت مع الباي للحفاظ على امتيازاتها[3].

– الصراع القائم بين الطريقتين الدرقاوية والقادرية، مما جعل هذه الأخيرة تناصر العثمانيين ضد ابن الشريف الدرقاوي.

– فشل ابن الشريف في توحيد الجهود مع الطريقة التجانية بالثورة ضد الأتراك، وذلك بسبب الضغوط التي كانت مسلطة عليها من البايلك[4].

[1] أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 87.

[2] محمد بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 116.

[3] مسلم عبد القادر: المصدر السابق، ص76.

[4] غالي العربي: المرجع السابق، ص ص 38-39.

خلاصة الفصل:

ما يمكن أن نخلص إليه في الأخير أنه في مطلع القرن التاسع عشرة، عرفت البلاد اندلاع أكبر ثورة شعبية قادتها الطريقة الدرقاوية في كل من بايلك الشرق والغرب بقيادة ابن الشريف.

ففي الشرق ساهمت عدة عوامل داخلية وخارجية في إشعال فتيل الثورة بقيادة الزعيم الروحي ابن الأحرش الدرقاوي، وشملت هذه الثورة معظم مدن الشرق وكانت نتيجتها أنها أول حركة شعبية تهدف إلى الحرب ضد الظلم والقهر الذي مارسه الأتراك على الأهالي الجزائريين كما عبرت عن البؤس والحرمان الذي لحق بالفلاحين.

أما في الغرب الجزائري فقد قاد ابن الشريف الدرقاوي ثورة شعبية كبيرة تحت غطاء الطريقة الدرقاوية التي كان زعيم لها، وهي من أخطر الثورات ضد الحكم العثماني، وقد وصف الزياني سنوات هذه الثورة بالغمة من شدة الخناق الذي فرضته القبائل الثائرة على الإدارة العثمانية بالإضافة إلى الخسائر الكبيرة في الجانب الاقتصادي، وهذا من جراء عمليات النهب والسلب التي سلكتها أتباع الطريقة الدرقاوية أو رجال السلطة (المحلة).

وعلى الرغم من قوة وشمولية الثورتين إلا أنهما باءتا بالفشل، وذلك لعدة اعتبارات ذكرناها ضمن الفصل المدروس.

الفصل الثالث

ثورات الطريقة التجانية 1800- 1827م

أولا: التعريف بالطريقة التجانية

ثانيا: طبيعة العلاقة بين السلطة الحاكمة والطريقة التجانية

ثالثا: مراحل الثورة التجانية

المرحلة الأولى(1782-1800)

المرحلة الثانية(1800-1827)

رابعاً: فشل الثورة ونتائجها

أولا: التعريف بالطريقة التجانية:

تنتسب الطريقة التجانية إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن مختار بن سالم التجاني، نسبة إلى قبيلة (التواجنة) أو بني توجين عشيرة أخواله، ولد بعين ماضي بالأغواط جنوب الجزائر سنة (1150هـ 1737م)[1]، فقرأ على شيوخها القرآن وغيره إلى أن بلغ العشرين سنة توجه إلى فاس، وهناك لانعرف أن التجاني قد اشتغل بالعلم العملي ذلك أنه ضل كما تروي المصادر يحوم هنا وهناك يتلقى الأذكار والأوراد أكثر مما يتلقي العلوم الشرعية والأدبية واللغوية[2]، لكن البعض يؤكد أنه حضر المجالس ودروس علمائها[3].

رجع أحمد التجاني إلى تلمسان وبقى يتردد لفترة غير قصيرة على الصحراء وتلمسان، فقد بقي في الأبيض سيدي الشيخ خمسة أعوام (1181-1186) في زاوية سيدي عبد القادر بن محمد، اشتغل بعضها في التدريس[4]، وخلال هذه الفترة زار عين ماضي مسقط رأسه ثم ذهب إلى تلمسان وبقى هناك خمسة سنوات[5]، بعدها تاقت نفسه إلى الحج وفي طريقه مر بزواوة حيث أخذ الطريقة الخلواتية على محمد بن عبد الرحمان الأزهري[6]، ثم قضى عاما في تونس حيث درس كتاب ابن عطاالله السكندري (كتاب الحكم)، وحقق نجاحا

---

[1] عبد الرحمان الجيلاني: **تاريخ الجزائر العام** ، ج4، ط7 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994، ص ص51-52. وينظر كذلك، هلال عمار، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين الـ19والـ20م و14/03هـ**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص173.

[2] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص510.

[3] عبد الرحمان الجيلاني مرجع سابق، ص52.

[4] . محمد بن جعفر الكتاني: **سلوة الأنفاس ومحاذاة الأكياس في من قبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ج1، د ط، د ت، ص182.

[5] أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق، ص510.

[6] المرجع نفسه، ص510.

في تدريسه لدرجة أن حاكم تونس (1171هـ–1757م) طلب منه التدريس في مسجد الزيتونة، لكن الشيخ التجاني رفض وقرر مواصلة رحلة الحج[1].

في القاهرة التقى بشيخ الطريقة الخلواتية وأخذ مبادئها عنه، ثم وصل إلى مكة سنة 1188هـ/1774م، وبعدها رجع إلى فاس ثم انعزل عن المدن تماما حين ذهب إلى توات بوسمغون جنوب غرب البيض عام 1196هـ / 1781م، حيث استقر بها مدة ثلاث سنوات زار خلالها عين ماضي[2]، وبسبب ظلم الأتراك هرب إلى فاس مع أهله وقد رحب به السلطان سليمان وأحضره مجلسه وأعطاه دار كبيرة وراتبا وظل في فاس إلى أن توفي عام (1230هـ/1815م)[3].

تزوج التجاني ودام زواجه سنة واحدة، بعدها تزوج من امرأتين اشتراهما بعد أن أعتقهما هما السيدة الغالية والسيدة مبروكة وقد فقد التجاني والديه في يوم واحد بوباء الطاعون ودفنا معا في عين ماضي 1166هـ /1753م[4].

إن الملاحظ على الشيخ أحمد التجاني أنه أخذ عدة طرق قبل الاستقلال بطريقته، لكن المصادر التجانية تذهب إلى أن الشيخ قد تخلى عن جميع الطرق بعد أن ظهر له الفتح

---

[1] بن تيشة أحمد، **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب أثناء العهد العثماني (الجزائر وتونس نموذجا)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية(2014–2015) ص62.

[2] عين ماضي: تقع عين ماضي جنوب جبل ردار وهي جزء من سلسلة جبال عمور تبعد عن الأغواط مسافة 72كلم من جهة الغرب يمثل موقعها صخرة ترتفع على سهل كبير ينحدر إلى قاعدته في الشمال الغربي، أو تل بيضوي الشكل الأمر الذي جعل سكان تلك المناطق يصفون عين ماضي (بيضة نعامة شقت طولا) لقد اختلفت النصوص و تعددت الروايات حول تأسيس عين ماضي فمنها التي تذكر أنها بقايا أثار رومانية تم ترميمها واصلاحها، ويذهب فريق آخر إلى القول بأن بقايا تعود إلى زمن الدولة العبيدية في المغرب الاوسط...ينظر بن يوسف التلمساني: **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية(1998/1997) ، ص ص 4–5 .

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ،ص 810.

[4] أحمد العياشي سكيرج بن الحاج ، **كشف الحجاب عن من تلاقي مع التجاني من الأصحاب**، ص ص 5_10.

الأكبر وهو رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في بوسمغون، وهو الذي أخبره بترك جميع الطرق، ومن ثم أخذ التجاني يعلم أتباعه قواعد طريقته الجديدة ومنها الذكر الخاص بها والذي يقولون أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي علمه إياه، وقد فرض التجاني على أتباعه شرطا لم يكن موجودا في الطرق الأخرى من قبل وهو عدم الإنضمام لأي طريقة أخرى[1].

انتشرت الطريقة التجانية في الجزائر انتشارا واسعاً في عهد مؤسسها أحمد التجاني الذي قضى مدة أربعة وثلاثين عاماً ينشر ويدعو لطريقته منها سبعة عشرة سنة في الجزائر والنصف المتبقي في فاس.

فعندما أعلن عن طريقته بقرية أبي سمغون التف حوله الأتباع، وكونوا بذلك النواة الأولى لأتباع الشيخ، وتعد أبو سمغون مهد الطريقة التجانية، ومنطلقها لنشر تعاليم الطريقة[2]، كما لقيت التجانية استجابة واسعة في كل من عين ماضي مسقط رأسه ووادي سوف وتماسين وتلمسان[3].

شهدت الطريقة التجانية في ظل إدارة الحاج على التماسيني ومحمد الصغير التجاني من بعده انتشارا واسعاً، وتطورا ملحوظاً لاسيما في جانبها المادي، فتأسست الزوايا في عدة مناطق من الصحراء، وأصبحت زوايا الطريقة تؤمن الطريق للقوافل التجارية العابرة للصحراء[4].

لاسيما وأن مواقع زوايا الطريقة التجانية كانت جد استراتيجية، فهي تتمركز في مفترق طرق القوافل التجارية مما جعلها محطات تجارية هامة يلتقي عندها تجار الشمال بتجار

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ج 4 ص ص 192_ 193.

[2] بن يوسف التلمساني ، المرجع السابق ص 88.

[3] بن يوسف التلمساني ، المرجع نفسه ص ص 89_ 92.

[4] Rinn Louis **,Les Marabouts et Khouans**, étude sur l'islam en Algérie , Alger ed Adolphe , Jourdan, 1884; p 424.

القوافل، بالإضافة إلى وقوعها بطريق الحجيج، كل هذا مكنها من الاستفادة ليس من الجانب المادي فحسب، وإنما من تمرير أفكارها ونشر تعاليمها عبر هذه القنوات حيث أصبح الحجيج والتجار دعاة الطريقة.

وعلى الرغم من انتشار الطريقة في مناطق عديدة من القطر الجزائري إلا أن مركز الثقل بقى منحصراً في المناطق الصحراوية، ولاسيما الخط الرابط بين أبي سمغون وعين ماضي، الأغواط، تقرت، وادي سوف، وبما أن هذه المناطق قليلة السكان مقارنة بمناطق الشمال فمن الطبيعي أن يكون العدد الإجمالي لإتباع الطريقة التجانية في الجزائر أقل بالمقارنة مع الطريقة الرحمانية والقادرية، ويتفق الكثير ممن تعرض للطريقة التجانية على أن أخصب فترة في تطورها تلك الممتدة من 1782م إلى 1853م، لما حققته من انتشار سريع سواء داخل الجزائر أو خارجها[1].

أما في ما يخص أوراد الطريقة التجانية فهي كما يلي:

ورد الصباح: وتقرأ بعد صلاة الصبح وتتمثل في الاستغفار بصيغة: استغفر الله 100مرة والصلاة على النبي بصيغة الفاتح 100 مرة، وهي قول: (اللهم صل على محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم)، وقول لا إله إلا الله 100 مرة.

ورد المساء : أركانه نفس أركان ورد الصباح، لكن وقته بعد صلاة العصر.

الوظيفة : تتم بعد كل صلاة أو بعد صلاة كل عصر حسب اختيار المريد وظروف عمله ومن لم يؤدها في وقتها يمكن أن يؤديها في وقت آخر، شرط أن تكون في مكان طاهر[2]،

[1] بن يوسف التلمساني ، المرجع السابق، ص 93.

[2] أحمد بن تيشة ، المرجع السابق، ص ص 62-63.

وتتضمن الوظيفة قراءة فاتحة الكتاب ثم صلاة الفاتح[1]، وبعدها يشرع في ذكر الوظيفة: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم 30 مرة، وصلاة الفاتح 50 مرة، ولا إله إلا الله 100 مرة، والجوهرة 12 مرة وتسمى جوهرة الكمال.

وصيغة الجوهرة كالتالي: اللهم صل على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الاسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملكت به كونك الحائط بأمكنة المكان اللهم صل وسلم على عين الحق الذى تتجلى فيها عروش الحقائق عن المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم أفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا به إياه[2].

الهيللة: وتذكر مرة في الأسبوع يوم الجمعة بين العصر والمغرب وهي لا إله الله من ألف إلى ألف وستمائة ثم يختم بصلاة الفاتح [3].

ونشير في الأخير إلى أن مسألة إعطاء الورد ليست سهلة عند التجانية، فيجب على المريد التخلي تماماً عن الطريقة السابقة وأن يتعهد بعدم العودة إليها، ولا يمكن إعطاءه الورد إلا برخصة من الشيخ الأكبر شيخ الزاوية الأم.

انتشرت الطريقة التجانية في التل والجنوب عن طريق القوافل التجارية بالخصوص، وكثر مقدموها وأتباعها وزواياها وأصبحت قوة ينشد تحالفها الراغبون في التحالف سواء من العناصر الإسلامية أو من الأجانب[4].

---

[1] حرازم علي بن العربي، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي احمد التجاني**، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر 1977م ، ص 119.

[2] أحمد بن تيشة، المرجع السابق، ص 63.

[3] حرازم علي بن العربي، المصدر السابق، ص 120

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 240.

ثانيا: طبيعة العلاقة بين السلطة الحاكمة والطريقة التجانية.

لقد وقفت الطرق الصوفية في وجه استبداد بعض الحكام والبايات العثمانيين، لاسيما في أواخر القرن18م وبداية القرن19م، وهي الفترة التي اتسمت فيها السياسة العثمانية بمجاهرة العداء لرجال الطرق الصوفية للحد من سلطتهم ونفوذهم الذي أخذ ينمو بشكل جعل سلطتها (الرسمية) شكلية في بعض المناطق.

إن هذه السياسة جاءت نتيجة الحاجة الماسة للدولة للأموال بعد أن شحت الغنائم البحرية، نتيجة تغير الظروف الدولية وانقلاب ميزان القوى في البحر المتوسط حيث لم يعد نشاط البحرية يدر أرياحا ولا مداخيل قارة للخزانية[1].

اتسمت العلاقات بين السلطة العثمانية والطريقة التجانية بالنفور والعداء والمواجهة في آخر الأمر فما هي أسباب ذلك يا ترى؟!.

أسباب توتر العلاقة:

1 – التفاف الأتباع حول الشيخ أحمد التجاني وتخوف السلطة من مكانته:

بعد رجوع أحمد التجاني من الحج واستقراره في تلمسان بدأت شعبيته تكبر وأتباعه يزيدون وارتفع شأنه وأصبح اسمه متداولا لدى الخاصة والعامة، ويقول صاحب زهرة الشماريخ: "... فلما رأى والي الجزائر ما وصل إليه التجاني خشي عاقبة أمره وكتب لمتصرف الصحراء ببسكرة بطرده من عمله وأن يشعر قبائل الأغواط وبني توجين بالبراءة منه أو يبعث الجيوش لحربهم..."[2].

[1] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص38.

[2] بن يوسف التلمساني: المرجع السابق، ص124.

بقي البايات يلاحقون أحمد التجاني حتى أخرجوه من تلمسان فاستقر بقرية أبي سمغون التي وقع له فيها الفتح الأكبر الذي من خلاله أعلن عن ميلاد طريقة جديدة خاصة به[1].

2- معارضة السلطة العثمانية لعقيدة التجانية:

إن بروز الطريقة التجانية وإعلان شيخها أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو ممده وعنه مباشرة تلقى أسرار طريقته، وبالتالي ليس لها سند مثل بقية الطرق الأخرى[2].

وهذه الأمور وغيرها من عقائد الطريقة التجانية أثارت ضجة في وسط بعض العلماء والفقهاء ودعاة التيار السلفي وبالتالي الحكام، حيث يذكر صاحب زهرة الشماريخ:« وفي غضون ذلك صدرت منه (التجاني) مقالات ونقلت عنه شطحات أنكرها عليه بعض معاصريه من أهل العلم بألسنتهم وقابلوه بسهامهم، ورأت الحكومة الإقبال عليه وتوجه الخاصة والعامة إليه، فلم تتأخر منه الوقوف على ملكها والسعي وراء هلاكها، فأمرت الباي محمد بن عثمان فتصرف...وعقد لذلك المجالس العديدة، واختلفت أراء علماء الوقت في شأنه وتضاربت في براءة ساحته واتهام أفكار العارفين بفنه وصدر أمر باعتقاله[3].

كما نجد في الجواب الذي بعث به الشيخ محمد بن عبد الله الجيلاني رئيس مجلس الشورى في بلاط محمد بن عثمان فاتح وهران إلى الشيخ أحمد التجاني تشكيك في تعليم وعقائد الطريقة التجانية كما تضمنت هذه الرسالة الحذر والاحتياط والنصح للشيخ نفسه[4].

---

[1] بن يوسف التلمساني: المرجع السابق، ص39.

[2] العجيلي التليلي: **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)**، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1992، ص43.

[3] بن يوسف التلمساني: المرجع السابق، ص125.

[4] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البو عبدلي: المرجع السابق، ص ص186-187.

3 – الدافع الاقتصادي:

تـزامن ظهـور التجانيـة مـع انتهـاج السـلطة العثمانيـة سياسـة اقتصـادية قائمـة علـى الضرائب بعد أن كانت تعتمد على غنائم البحر.

فكـان الـدافع الاقتصـادي إذن وراء تلـك الحمـلات التـي قادهـا البايـات علـى الطريقـة التجانية بعين ماضـي، هذه الطريقة التي استطاعت في ظرف قصير أن تجمع ثروة هائلة بفضل تحكمها في التجارة الصحراوية وحمايتها للقوافل، إضافة إلى ما يجمع من الزيارات، هذه الثروة أثارت طمع البايات فشنوا عليها الحملات وفرضوا عليها الضرائب الباهضة واستحوذوا على خيراتها كلما تمكنوا منها[1].

4– لجوء الشيخ أحمد التجاني إلى المغرب:

لما ضيق البايات الخناق على أحمد التجاني، هاجر إلى المغرب واستقر هناك، ولقى كل الترحاب من قبل السلطان مولاي سليمان حيث استقبله شخصيا ومنحه دارا للإقامة، فانتشرت دعوته بسرعة حتى في أوساط الطبقة الحاكمة[2]، كما حظيت دعوته بالترحاب والاقبال من حكام تونس لاسيما بعد لقاء التجاني بإبراهيم الرياحي[3].

هذا التقارب الذي حدث بين التجانية والحكام في كل من المغرب الأقصى وتونس، إضافة إلى الزيارات المستمرة التي كان يقوم بها الشيخ أحمد التجاني بعين ماضي، تلمسان، فاس، في الوقت الذي كانت في العلاقات على غير ما يرام بين هذين القطرين والسلطة العثمانية في الجزائر، أثار مخاوف العثمانيين واعتبروه بمثابة مؤامرة سياسية تحاك ضدهم

[1]بن يوسف التلمساني: المرجع السابق: ص127.

[2]Rinne Louis, OP. CIT. P 420.

[3]بن يوسف التلمساني: المرجع السابق: ص128.

بالتنسيق مع سلطان المغرب[1]، مما دفعهم إلى شن حملات أخرى على عين ماضي بعد عودة أبناء الشيخ التجاني للاستقرار في الجزائر.

5 – الوشاية ضد أحمد التجاني:

لقد كان لعامل الوشاية الذي اتخذه أعداء التجاني وسيلة لتأليب البايات على الطريقة التجانية مستغلين الهاجس الذي أحدثته الثورة الدرقاوية في نفوس البايات، وفي هذا الصدد يقول يحي بوعزيز: «... يضاف إلى ذلك كثرة الوشاة والسعاة في غير مصلحة البلاد وكان الغرب الوهراني يعج بأحداث درقاوة التي ذهبت بالأخضر واليابس... وصار البايات يتوجسون خيفة من هذه العائلة (التجانية)»[2].

ثالثا: مراحل الثورة التجانية:

المرحلة الأولى (1782–1800):

اتسمت هذه المرحلة بشن سلسلة من الحملات قادها البايات العثمانيون على عين ماضي، قام الباي محمد الكبير بايلك الغرب بحملة إلى عين ماضي، ويورد أخبار هذه الحملة كاتبه ومرافقه أحمد بن هطال التلمساني: « ... في وجهة القبلة رأى الباي أنها ذات بلدان كثيرة وأعراب راحلة ومقيمة إلا أنها لم تتلها أيدي السلطنة ولم يكن منها للملك مصلحة ولا منفعة كأنها أمة أبقت من أهلها أو حرة نشزت من بعلها فشمر لها عن ساعد الجد»[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر، ج1، ص51

[2] يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنيين (19م–20م)**، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر، 1980، ص325.

[3] ابن هضال أحمد التلمساني: **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري**، تحقيق محد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة ،1969، ص36.

وأثناء سير الباي إلى عين ماضي والأغواط كان لا يمر على قرية إلا وأجبرها على دفع ما يحدده لها من لزمة، إلى أن وصل إلى بلدة عين ماضي التي لم يكن لها شأن كبير، لاسيما وأن الطريقة التجانية لم تظهر للوجود إلا في العام نفسه[1].

نزل الباي محمد الكبير قرب عين ماضي وقد وصف أحمد بن هطال هذا النزول بقوله: « فلما رأوا أهلها خيله قد طلعت وجنوده قد أقبلت، فزعت قلوبهم وطاشت عقولهم وغلقوا الديار وعلوا الأسوار وهم مصرخون بالطاعة، وطلب الشريعة معلنون، فنزلت " المحلة" بقرب السور بنحو مائة ذراع... فبينما الناس متردون في أمرهم، شاكون في قدومهم، وإذا بهم خرجوا بنسائهم وعلمائهم مقدمون النساء أمامهم، وتلك كانت عاداتهم، فلما دخلوا إلى المحلة أمر السلطان الباي من أوقف النساء بمكان بعيد من فسطاطه، مستنكبين عن بساطه، وأذن للعلماء في التقدم فتقدموا وسلموا عليه وسألوه أن يرفق ويشفق من حالهم، وأن يعفيهم من القطيعة الأولى التي فرضها عليهم، فإنهم لم يقدروا عليها ولا طاقة لهم بدفعها، فلما سمع كلامهم واستقصى خبرهم أدركته الحنانة والشفقة عليهم وجعل لهم لزمة أقل من الأولى... وبالغد أصبح أهل عين ماضي يدفعون قطيعتهم من الخيل والخدام والدراهم فدفعوا جزءا وأكملوا الباقي في اليوم الذي بعده...»[2].

ثم فرض عليهم دفع ضريبة سنوية تقدر بمبلغ 188 ريال[3]، وفي العام 1784م عاد من جديد في حملة أخرى على عين ماضي يقصد منها تشديد الحصار والحد من نشاط التجاني[4]، وفي العام الموالي جهز صالح باي، باي قسنطينة حملة على منطقة الأغواط وجبل عمور من أجل إخضاعها للسلطة، وفي هذا الصدد يذكر أحمد توفيق المدني في كتابه "محمد عثمان باشا" ما يلي:«... تحركت جماعة في جبال عمور وأعلنت التمرد

[1]محمد مكحلي: المرجع السباق، ص186.

[2]أحمد بن هضال التلمساني: المصدر السابق، ص74.

[3]Rinne Louis, OP. CIT.P420.

[4]محمد مكحلي: المرجع السابق، ص187.

والعصيان فجهز صالح باي حملة كبيرة وسار على رأسها سالكا طريق عين البيضاء وزنينة وآفلو وتاجموت، وبعد أن أرجع جبال عمور إلى الطاعة لوى عنانه نحو بلاد الأغواط فهاجمها واحتلها عنوة وأدخلها في حضيرة المملكة[1].

وفي سنة 1787م خرج الباي عثمان بن محمد في حملة على عين ماضي على رأس جيش مشكل من 50 خيمة من جند الإنكشارية وجيش المخزن، واستطاع أن يقتحمها دون مقاومة تذكر، إلا أنه لم يعثر على الشيخ التجاني هناك، وفرض على أهلها غرامة مالية قدرها 17 ألف ريال "بوجو" وأجبرهم على دفع كمية كبيرة من البرانس والحياك.

ولم يكتف الباي عثمان بما فرضه على أهل عين ماضي، بل راح يلاحق أحمد التجاني في إقامته بقرية أبي سمغون حيث بعث إلى أهلها يهددهم ويتوعدهم إن لم يخرجوه، فلما بلغ الشيخ التجاني هذا التهديد، ورأفة بسكان أبي سمغون غادر القرية رفقة أهله وبعض تلامذته سالكا طريق الصحراء سنة 1798م حتى بلغ مدينة فاس[2].

المرحلة الثانية:

بعد هذه الحملات المتتالية التي شنها البايات العثمانيون، خيم الهدوء على أهل عين ماضي وعلى العلاقات بين السلطة العثمانية والطريقة التجانية، وبعد وفاة أحمد التجاني بفاس، قرر ولداه محمد الكبير ومحمد الصغير العودة إلى الجزائر، فعادا إلى عين ماضي رفقة خليفة التجاني الحاج علي بن عيسى التماسيني مقدم زاوية تماسين، وكان التجاني قد أوصاه بإعادة ولديه إلى عين ماضي قائلا له مقولته المشهورة: « أبنائي لا تليق بهما إلا الصحراء، فيها يعيشون وفيها يفلحون»[3].

[1] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق ، ص173.

[2] بن يوسف التلمساني، المرجع السباق، ص136

[3] أحمد العياشي سكيرج: المصدر السابق، ص201.

تذكر الروايات أنه بعد وفاته، رفض ولداه العودة إلى عين ماضي حيث فضلا البقاء في فاس على الرغم من إلحاح الحاج علي خليفة أبيهما، فاضطر إلى تركهما وسافر مع جماعة من الأحباب يزيد عددهم عن 200 نفر، ولم يعد ولدا الشيخ التجاني إلا بعد فترة من وفاة أبيهما حيث أحيكت ضدهما الدسائس والتحرشات من قبل أتباع الطريقة الطيبية إلى أن طلب الأمير إبراهيم بن السلطان سليمان ولدي الشيخ بأمر إخلاء دار المراية التي كانت أهديت من قبل أبيه سليمان (السلطان) للشيخ التجاني، فاضطر ولدا الشيخ التجاني إلى الإقامة مؤقتا في زاوية فاس إلى أن قدم إليهما الخليفة الحاج علي التماسيني وأخذهما إلى عين ماضي كما أوصاه الشيخ التجاني[1].

استقر معهما في عين ماضي إلى حين ترتيب أمورهما هناك، حيث تم طرد أعداء أبيهما من التجاجنة، ثم انتقل الحاج علي التماسيني إلى بلدته تماسين حيث أصبحت مقاليد الطريقة التجانية تدار انطلاقا من زاوية تماسين طيلة الفترة الزمنية ما بين (1815-1844)م.

لقد استطاع محمد الكبير التجاني في وقت وجيز استرجاع مكانة الطريقة بعين ماضي حيث جذب إليها بعض الشيوخ وبعث فيها حركة علمية نشيطة[2]، وبهذا عاد التوتر من جديد بين السلطة والتجانية حيث أصبح هذا النفوذ يزعج السلطة العثمانية، خاصة وأن قبائل الغرب بات الكثير منها يدفع الزيارة لابني التجاني بعين ماضي، بل حتى القبائل القاطنة في ضواحي وهران أخذت تبعث وفودها إلى عين ماضي، مما أقلق السلطة وأمر الداي حسين الباي حسن بايليك الغرب بشن حملة على عين ماضي و إلقاء القبض على ابني التجاني[3].

[1] بن بوسف التلبمساني: المرجع السابق، ص ص 138-139.

[2]. Louis Rinn. op. cit p 422.

[3] بن يوسف التلمساني: المرجع السابق، ص140.

إن المناوئين أو المنشقين الذين طردهم سيدي أحمد التجاني من عين ماضي إلى جبل عمور جندوا مقاتلين من الجهة الغربية وهاجموا المدينة، ولما فشل هجومهم طلبوا دعم باي وهران حسن[1]، هذا الأخير اغتنم فرصة الاستنجاد، فخرج الباي على رأس جيش مشكل من 700جندي و4000 من فرسان المخزن، بالإضافة إلى قافلة من الجمال محملة بالمؤونة والذخيرة واثنين من المدفعية وكانت هذه الحملة سنة 1820م[2].

قبل وصول الباي إلى عين ماضي قام الحاج على التماسيني بإبعاد ولدي أحمد التجاني حيث أرسل محمد الصغير إلى قرية أبي سمغون ومحمد الكبير إلى تماسين، ولما وصل الباي إلى عين المكان حاول استمالة أهلها بشرح مقصده من هذه الحملة المتمثل في إلقاء القبض على ابني التجاني، إلا أنهم رفضوا عرضه واقترحوا عليه مبالغ مالية مقابل انسحابه، مما دفعه إلى محاصرة البلدة مدة شهر كامل إلى أن يأس، فطلب من أهلها دفع مبلغ قدره 100 ألف "بوجو" أي ما يعادل 350 ألف فرنك وكمية من البرانس السوداء والبيضاء والحياك، واستولى على كمية من المخطوطات قيمة ضعفي ما دفع نقدا[3].

وفي مدة عشرة أيام تمكن أهل البلدة من جمع ما فرض عليهم إلا أن الباي لم ينسحب وقام بقصف المدينة مدة 14 ساعة محاولاً اقتحامها لكنه فشل في مسعاه، فاضطر إلى سحب الجيش بعد أن سقط له ثلاثون جنديا وخمسة وأربعون جريحا[4].

يذكر صاحب الثغر الجماني أن هذا الباي كان سفاحا، مستخفا بأرواح الأبرياء حيث كان يتتبع رجال العلم والدين، فيسجن ويعذب ويقتل كما أحدث محاكم التفتيش الشبيهة بالمحاكم التي أحدثها الأسبان بعد سقوط غرناطة[5].

---

[1]Louis Rinn. OP. CIT.p423.

[2] بن يوسف تلمساني: المرجع السابق، ص 140.

[3]Louis Rinn. Op. cit. p423.

[4] بن يوسف تلمساني: المرجع السابق، ص 141.

[5]بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص49.

وهناك رواية أخرى تذكر أن الباي حسن بعد قبوله عرض التجانيين، قام بقصف عين ماضي ما يقرب من ستة وثلاثين ساعة حاول من خلاله اقتحامها، إلا أنه عاد أدراجه بعد أن تكبد خسائر فادحه[1].

وعلى الرغم من هذه الحملة وكل هذه المتاعب لم تحول دون عودة الطريقة التجانية إلى ما كانت عليها من قبل، حيث انتعشت وازدهرت من جديد مدينة عين ماضي وتماسين[2]، وهذا ما جعل مخاوف العثمانيين تزداد، حيث شن عليها باي التيطري مصطفى بومزراق حملة عام 1822م إلا أنه فشل أمام أسوارها الحصينة ومقاومة أهلها، وفي المقابل قام الباي حسن بحملة أخرى على عين الماضي سنة 1825م للحيلولة دون قيام التجانيين بثورة مثل أقرانهم الدرقاويين[3].

حاصر الباي البلدة لمدة شهر كامل مما اضطر أهلها إلى طلب الصلح فتوسط لهم كاتب الباي محمد بن الخروبي القلعي، فقبل الباي صلحهم وفرض عليهم ضريبة سنوية قدرها خمسة مئة ريال بالإضافة إلى ألفي ريال تدفع له حالا[4].

لقد حاول العثمانيون ترصد وتتبع تحركات ابني التجاني حيث أنه عند خروج محمد الكبير قاصدا الحج، أمر الداي حسين باي قسنطينة القاء القبض عليه، لكنه فشل في ذلك، وبهذا ظل العثمانيون يعاملون ابني التجاني بنفس السياسة التي طبقوها على أبيهما، فمنذ عودتهما من المغرب الأقصى وهما يتعرضان للحصار والمضايقات[5].

---

[1]Louis Rinn. Op. cit. p 423.

[2]محمد العربي السايح: **بغية المستفيد لشرح منيه المريد**، دار العلم للملايين، بيروت 1375هـ/1973م، ص86.

[3]الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص353.

[4]محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص243.

[5]بن يوسف التلمساني: المرجع السابق، ص191.

نتيجة هذه السياسة لم يجد محمد الكبير التيجاني بدا من إعلان الثورة على الأتراك العثمانيين، وقام بإجراء اتصالات حثيثة بأهل غريس الذين كان قد تحالف معهم والذين كانوا يشتكون من استبداد وطغيان هذا الباي[1].

وانتهت هذه الاتصالات بمبايعة محمد الكبير سرا[2]، وبعد هذا التحالف استطاع محمد الكبير أن يجمع عددا معتبرا من المقاتلين من سكان الصحراء[3]، وتشكل جيشه من قبيلة الأرباع، وسكان القصور وعشائر أولاد نايل، وخرج بهم سنة 1826م نحو معسكر، وكان الهدف الاستيلاء على مدينة وهران[4]، غير أن قبائل زغدو التي تقطن بالقرب من الفقيق قطعت طريقهم في سوارة بالقرب من الشط[5]، لقد بددت شملهم وأصيب أحمد الكبير بجروح بلغية نقل على إثرها إلى عين ماضي أين أمضى شهرين بين الحياة والموت[6].

في السنة الموالية 1827م سار التيجانيون للمرة الثانية نحو وهران بقيادة محمد الكبير في جيش يفوق 600 مقاتل من التجانيين وعدد من أعراب الصحراء (الأحرار) فحل بأرض غريس عندما انظم إليه الحشم[7].

وفي هذه الأثناء حاول محمد الكبير استمالة عرب بني عامر وبني شقران والبرجية الغرابة والزمالة والدوائر، ولكن دون جدوى [8]، وعلى الرغم من ذلك واصل زحفه على معسكر معسكر وتمكن خلاله من إخضاع أجزاء من المدينة وفي هذا الصدد يذكر المزاري في طلوع سعد السعود: " ثم رحل التجيني في يوم الاثنين لمدينة معسكر وهي سبعة أقسام حومة

---

[1] محمد مكحلي: المرجع السابق، ص191.

[2] الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ج3، ص353.

[3] محمد مكحلي: المرجع السابق، ص191.

[4] صالح عباد: المرجع السابق، ص231.

[5] Louis Rinn.op cit. p 423.

[6] صالح عباد: المرجع السابق، ص231.

[7] الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص353.

[8] محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص243.

العرقوب بسورها، وحومة سيدي على محمد، وحومة عين البيضاء، وحومة الباب الشرقي، وحومة بابا علي، وحومة سيدي محمد أبي جلال، وحومة المدينة الداخلة، وهو الوسطى بسورها ذي أدهام ونزل على الحومة الغربية وسط النهار يريد الدخول إليها ويظفر بالمطلوب فتلقاه أهلها بأسرهم بالقتال، وقد مات من الفريقين خلق كثير... ولما رأوا ذلك قادوا له فرسا أشهب ودخلوا تحت حكمة بانتخاب، وأتوه ليلتهم بمؤونة جيشه من المأكول والمشروب وعلف الدواب، واندرج في ذلك أهل الحومة الشرقية بلا محال وهي حومة الباب الشرقي...أيضا حومة سيدي محمد أبي جلال ... وفي يوم الخميس تهيأ بجشه لقتال الحومتين المحيط بهما السور وهما العرقوب والمدينة الداخله...»[1].

عندما أوشكت مدينة معسكر على السقوط في يد محمد الكبير، وصل الباي حسن قادما من وهران على رأس جيش كبير يفوق تعداده وعدته جيش محمد التجاني، وحسب بعض المصادر فإن الباي استطاع أن يقدم الرشوة إلى أعيان الحشم مقابل انسحابهم وتخليهم عن محمد الكبير[2]. وفي هذا الصدد يقول الشريف الزهار: « بعث الباي المال لكبراء الحشم لكي يتخلوا عنه وتخلى الحشم عن التجاني وفر الكثير من جنوده التي أتت معه ولم يبق معه إلا نحو الثلاثمئة من أعراب زكور»[3].

فبقي جيش محمد الكبير وحده في المعركة مما سهل مهمة جيش الباي الذي كان أكثر عددا وعدة في القضاء على ثورة التجاني[4]، فثبت هو وثبت من معه من الأعراب ثباتا لم يثبته أحد... وقاتلوا قتالا شديدا إلى أن قتلوا عن أخرهم»[5].

[1] الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص356.

[2] محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص249، وينظر أيضا المزاري: المصدر السابق، ص369.

[3] محمد الشريف الزهاري، المصدر السابق، ص159.

[4] محمد مكحلي: المرجع السابق، ص192.

[5] أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص160.

فتقهقر جيش التجاني وتم إلقاء القبض عليه بعواجة (1243هـ-1827)م، فقتل ومن كان معه من الأسرى و أرسل رأسه إلى مدينة الجزائر حيث نصب على الباب الجديد، وبعثوا بسيفه واعلاقه إلى السلطان محمود بالأستانة[1].

رابعا: فشل الثورة ونتائجها:

لما تم القتال أمر الباي بقطع الرؤوس، رأس التجيني ويده ورؤوس التجاجنة أهل الضرر، فقطعت الرؤوس وبعث بها الباي أمامه للمعسكر ورحل ودخلها فارحا مسرورا ثم رجع لوهران في عزة وإكرام[2].

كما أمر الباي حسن جنده بتعليق رؤوس أعدائه في كل جهة حتى يكونوا عبرة لمن يفكر في الخروج عن طاعته.

أما رأس محمد التجاني و سيفه ورؤوس خليفته وبعض جنده فقد بعث بهم إلى الداي حسين مبشرا إياه بزوال هذا الشيخ، ففرح الداي وأرسل إلى الباي بهدية تمثلت في زوجين من المسدسات ويتقان مذهب وفرس وآمة جورجية.

وجاء في مذكرات الزهار«... بعثوا للسلطان محمود يبشرونه بقتله وبعثوا له سيفه والحجب التي كانت معه، واحتوى الباي على أثقال التجاني و أمواله...» ويذكر أيضا «... وأتوا بسيفه وبعض الجعابات التي كانت عليه، وفيها جداول من كل نوع حتى أني رأيت جدولا منها على صفة السيف مكتوبا بالزعفران...»[3].

[1] عبد الرحمان الجيلاني: المرجع السابق، ص336.

[2] الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص360.

[3] أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص160.

أما عن نتائج الثورة فيمكن تلخيصها في ما يلي:

1- إن التجانيين بهذه الانتفاضة تحولوا للمرة الأولى من حالة دفاع إلى حالة هجوم، ففي السابق اشتهر التجانيون بالبسالة في الدفاع عن بلدتهم[1].

2- لقد الحقت هذه الثورة أضرارا جسيمة في صفوف التجانيين حيث قدرت الحصيلة ما بين 300 إلى 600 قتيل وعدد كثير من جيش الباي[2].

3- لقد كان لانسحاب أهل الحشم أثرا بارزا بين التجانية وهؤلاء، بل كان من الأسباب التي جعلت محمد الحبيب يتحفظ من الأمير عبد القادر.

4- إن انهزام التجانيين أمام السلطة العثمانية دفع بمحمد الصغير انتهاج سياسة المهادنة والمسالمة مع الأتراك.

5- بعد الثورة تركز نشاط التجانية على مناطق الجنوب وأحكام سيطرتها على طريق الحجيج الرابطة بين المغرب وتونس وبين غرب إفريقيا والمشرق عبر الصحراء الجزائرية.

6- إن هذه الانتفاضة تعتبر صرخة كبقية الصرخات المناوئة للظلم والجور كما كانت من الأسباب التي أنهكت قوة السلطة المركزية وأضعفتها[3].

---

[1] بن يوسف التلمساني: المرجع السابق، ص153.

[2] أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص159. وينظر كذلك المزاري، المصدر السابق، ص359.

[3] بن يوسف التلمساني: المرجع السابق، ص154.

خلاصة الفصل:

إن الثورة الشعبية التي قادتها الطريقة التجانية في بايلك الغرب جاءت نتيجة أن السلطة العثمانية ضيقت الخناق على المؤسس الروحي لطريقة الشيخ أحمد التجاني وأجبرته على مغادرة عين ماضي نحو مدينة فاس بالمغرب الأقصى، حيث مكث هناك إلى غاية وفاته، وبعد وفاة هذا الأخير بتسعة أشهر عادا ولداه محمد الحبيب ومحمد الكبير إلى الجزائر لكن السلطة العثمانية مارست معهما نفس السياسة التسلطية التي انتهجتها مع أبيهما.

عند رجوع محمد الكبير من الحج اعترضته قوات باي قسنطنية محاولة القبض عليه إلا انه استطاع الإفلات منه، وقفل راجعا إلى عين ماضي وما كاد أن يستقر فيها حتى أعلن في أتباعه معادات الأتراك وخروجه عن طاعة السلطة العثمانية.

ولقد كان لحملتي الباي حسن الأولى والثانية (1820–1825)م دورا مهما في جعل محمد الكبير التجاني يعلن الثورة على الأتراك وينتقل من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم وذلك لسنة 1827م.

وعلى الرغم من أن الثورة لم تحقق أهدافها، إلا أنها كانت بين العوامل التي أدت إلى انهيار الحكم العثماني في الجزائر.

الخاتمة

الخاتمة

لقد أفضت جهودنا إلى جملة من النتائج يمكن تلخيصها فما يلي:

1 – إن تردي الأوضاع السياسية في الجزائر أواخر العهد العثماني جاء كنتيجة لفساد نظام الحكم والضغط الخارجي، مما أدى إلى الاضطرابات السياسية الداخلية، وهو بدوره أفضى إلى اندلاع ثورات في مختلف مناطق البلاد.

2 – عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني تقهقرا عمرانيا وانكماشا اقتصاديا، نتج عنه سوء الحالة الصحية للسكان جراء انتشار الأمراض والأدوية وعدم اهتمام الحكام بصحة السكان، ويضاف إلى ذلك حدوث الكوارث الطبيعية التي أدت إلى تناقص السكان وتراجع الاقتصاد ومنها (الزلازل، الفيضانات، والجراد).

3 – حافظت الزوايا خلال العهد العثماني على التراث والثقافة العربية الإسلامية بحيث أصبحت مقراتها عبارة عن مراكز ثقافية ومعاهد علمية، علما أن الجزائر آنذاك كانت تحت تأثير سياسة التتريك أو العثمنة، فالحكام العثمانيون واللغة العثمانية والمذهب الديني حنفي عثماني، وكانت هي البديل للسلطة المركزية في الريف، حيث ملأت الفراغ الذي تركته في ميدان الرعايا الصحية أو التعليم، مما جلب لها التأييد الكامل من الشعب.

4 – لقد أصبح الشعب الجزائري يبحث عن قوة جديدة يحتمي بها وهذا بعد اضطهاده وإرهاقه بالضرائب من طرف السلطة العثمانية، فوجد ذلك في الطرق الصوفية.

5 – لقد كانت هذه الثورات مدعمة من قبل القوى الخارجية وكان لبايات تونس وسلاطين المغرب دورا في هذه الثورات للوصول إلى غايتهم، فالمغاربة بحكم نسبهم

الشريف كانوا يعتقدون أنهم الأولى بالحكم من السلطة العثمانية، فأخذوا من هذه الثورات وسيلة لتحقيق أهدافهم.

6 – على الرغم من قوة الثورات وشموليتها إلا أنها لم تصل إلى مبتغاها، وهذا راجع إلى اختلافاتها المذهبية، فأبن الأحرش مثلا لم يتلق الدعم الكافي من السكان لأن أغلبية الشعب تابع لطريقة الرحمانية.

7 – إن هذه الثورات الشعبية التي قادتها زعامات الطرق الصوفية لم تكن رد فعل عن ظلم الأتراك كما يبدوا للبعض، بل كانت في جوهرها ثورات تحريرية كان لها صدى في جميع مناطق البلاد، فمثلا الشريف الدرقاوي لم تقم ثورته ضد سياسة الضرائب وإنما من أجل وضع حد للنفوذ التركي.

8 – إن هذه الثورات أنهكت البلاد والعباد سلطة وشعبا وكانت سببا هاما في الوهن الذي أصاب الجزائر، فسقطت فريسة لأبشع استعمار في التاريخ البشري.

الملاحق

الملحق رقم 01: الخريطة السياسية للجزائر العثمانية أوائل ق 19م.

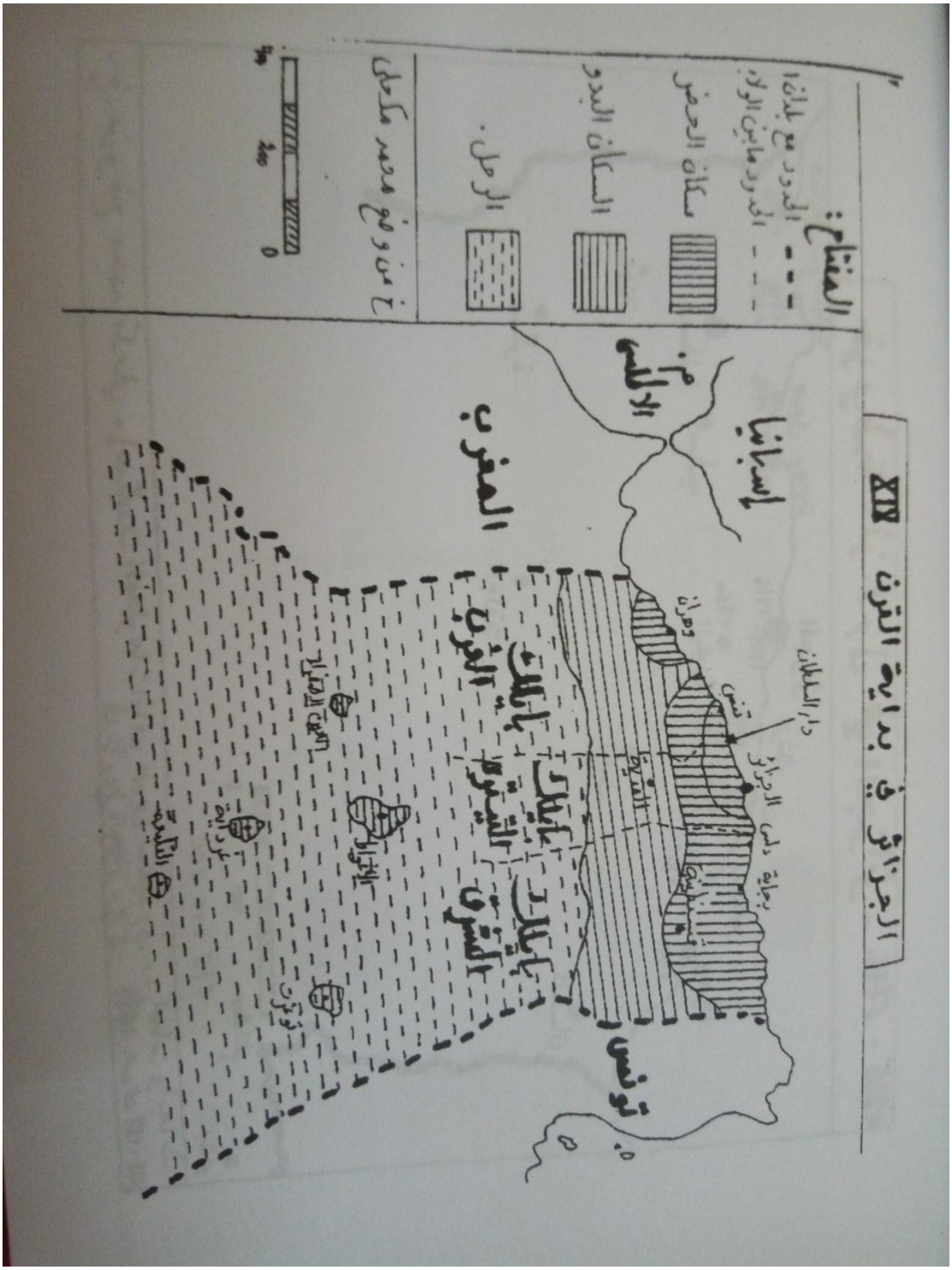

المرجع: محمد مكحلي، المرجع السابق، 254.

الملحق رقم 02: البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

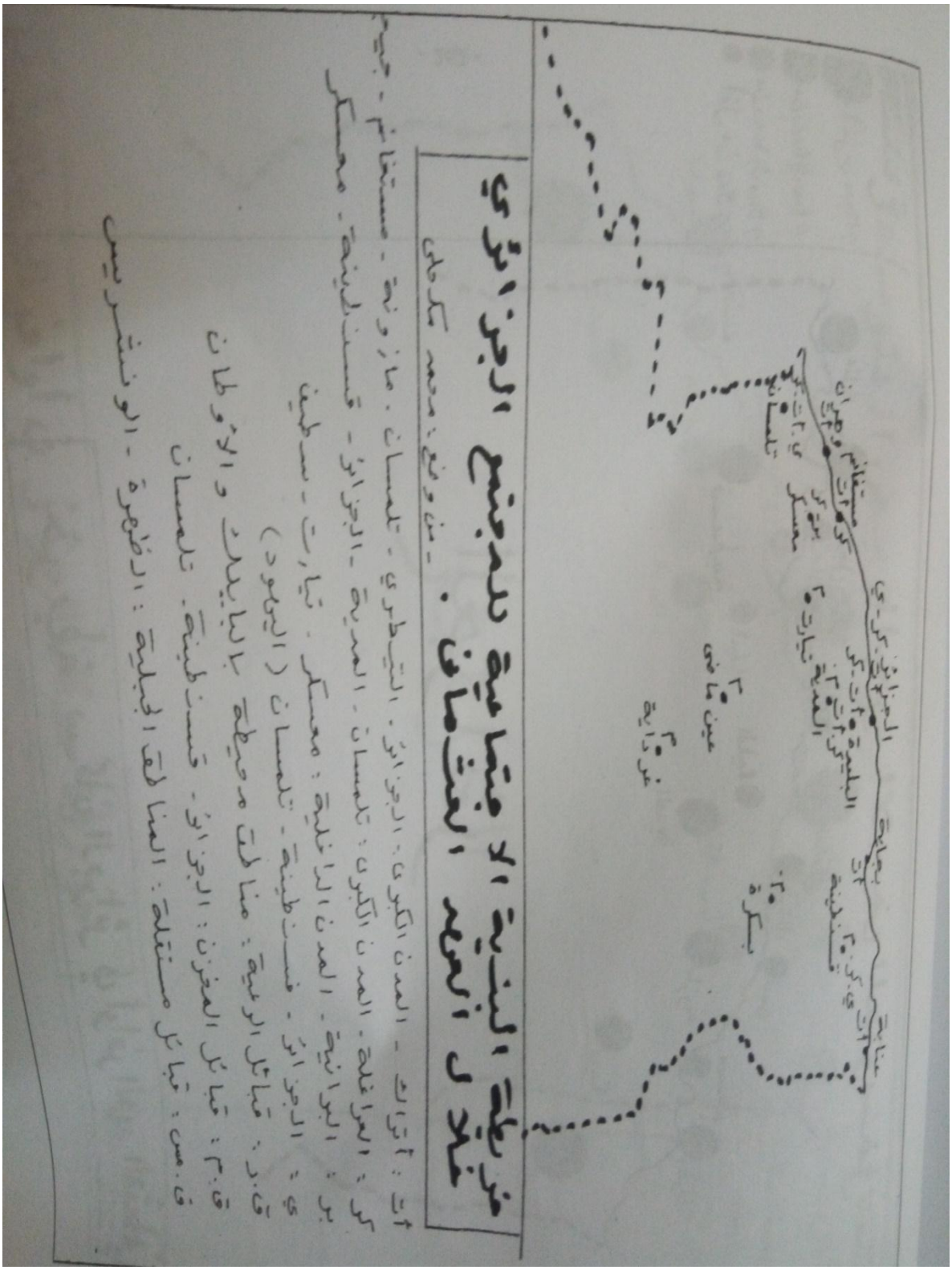

المرجع: محمد مكحلي، المرجع السابق، 254.

الملحق رقم 03: خريطة مناطق نفوذ ابن الأحرش في الشرق الجزائري

المرجع: صالح عباد، المرجع السابق، ص 196.

الملحق رقم 04: خريطة أحداث ابن الأحرش في الشمال القسنطيني 1804م.

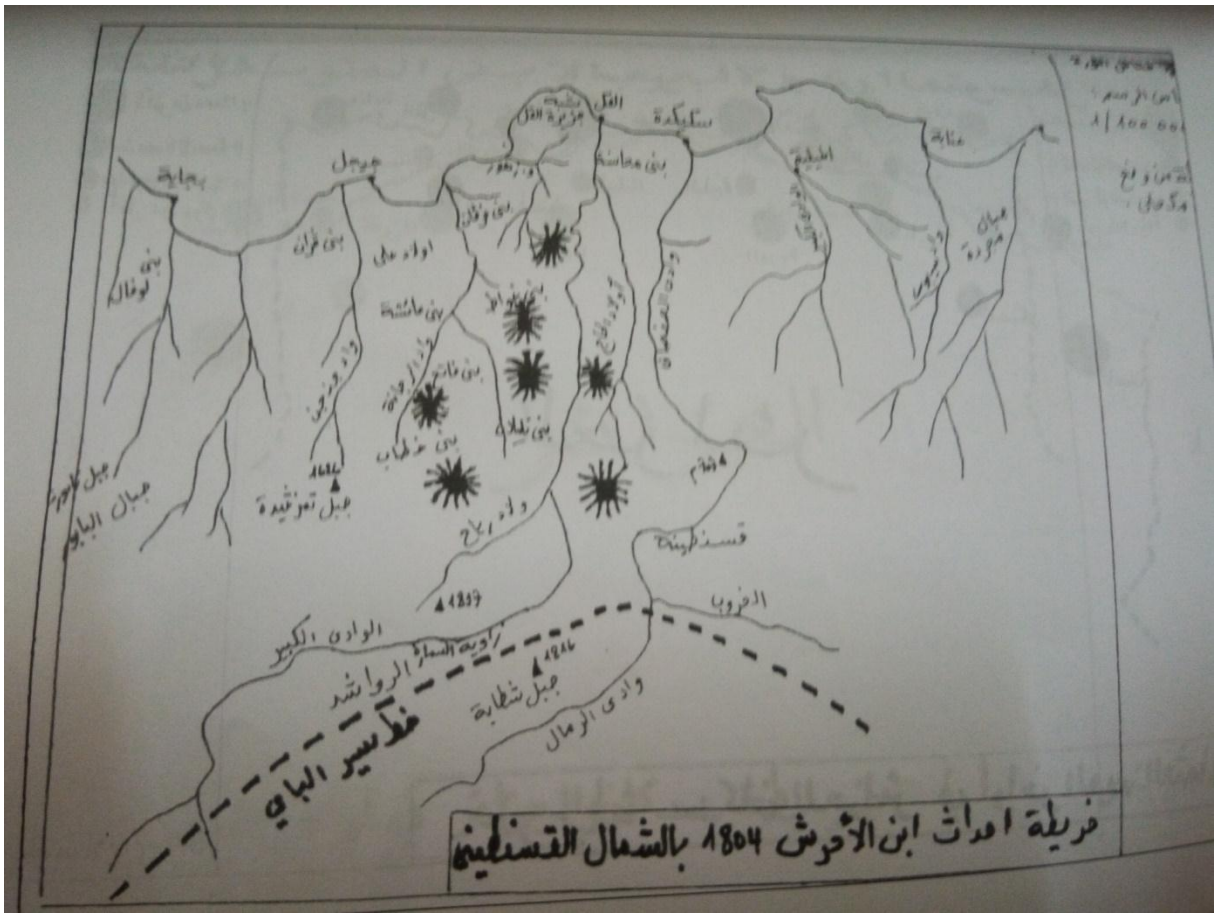

المرجع: محمد مكحلي، المرجع السابق، 258.

الملحق رقم 05: خريطة المجال الجغرافي لتمرد درقاوة في الغرب الجزائري

المرجع: صالح عباد، المرجع السابق، ص 203.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1)بن الحاج أحمد العياشي سكيرج، كشف الحجاب عن من تلاقي مع التجاني من الأصحاب.

2)بن العربي حرازم علي: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أحمد التجاني، مكتبة الكليات، الأزهرية، مصر،1977.

3)بن عبد القادر محمد: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ط1،ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، دت.

4)التلمساني أحمد بن هطال: رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تح، محمد بن عبد الكريم، عالم الكتاب، القاهرة، 1969.

5)الدرقاوي العربي ، مجموعة رسائل مغربية، تحقيق سالم بارود، تقديم أحمد ابن الخياط الزكايري، المجمع الثقافي، أبو ظبي،1999.

6)الراشدي ابن سحنون: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح، المهدي البوعبدلي، ط2، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973.

7)الزهار أحمد الشريف: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر (1754-1830)م، تح، أحمد توفيق المدني، ش و ن ت ، الجزائر، 1980.

8)الزياني محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق، المهدي البوعبدلي، ش و ن ت، الجزائر،1979.

9)السايح محمد العربي: بغية المستفيد لشرح منيه المريد، دار العلم للملايين، بيروت 1375هـ/1973م.

10) شالر وليام: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)م، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ش و ن ت، الجزائر، 1982.

11) عبد القادر مسلم: أنيس الغريب والمسافر، تح، ت، رابح بونار، ش و ن ت، الجزائر،1974.

12) العنتري صالح: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مراجعة وتقديم وتعليق، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1991.

13) العنتري صالح: مجاعات قسنطينة، تح وت، رابح بونار، ش و ن ت، الجزائر، 1974.

14) فايست أوجين: تاريخ بايات قسنطينة في العهد العثماني (1792-1830)م، تر، صالح نور، ت، عبد الرحمان شيبان، ج 2، الجزائر،2013.

15) الكتاني محمد بن جعفر: سلوة الأنفاس ومحاذاة الأكياس في من قبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، دط، دت.

16) مجهول: تاريخ بايات قسنطينة في المرحلة الأخيرة، تح، حساني مختار، مطبعة دحلب، الجزائر.

17) المزاري الآغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19، تح، ودراسة يحي بوعزيز ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.

المراجع:

أولا: الكتب:

18) ألتر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر، محمود عامر، دار النهضة العربية، بيروت ،1984.

19) بو عزيز يحي: المدن التاريخية وهران، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون ، الجزائر 1985.

20) بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة بالجزائر المحروسة، ط1، دار المغرب الإسلامي، الجزائر، 1995.

21) بوعزيز يحي: ثورات الجزائر في القرنيين (19م-20م)، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر، 1980.

22) التليلي العجيلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1992.

23) الجيلاني عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام،ج4، ط7، دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1994.

24) حركات إبراهيم: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط1، المكتبة، دار البيضاء، المغرب، دت.

25) حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر ،2008.

26) الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين (1792-1830)م، ط2، م و للكتاب، الجزائر،1984.

27) السايح محمد العربي: بغية المستفيد للشرح منية المريد، دار العلم للسلاطين، بيروت، 1973.

28) سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)م،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998.

29) سعيدوني ناصر الدين ، دراسات تاريخية في الملكية العقارية، دار البصائر، الجزائر، 1986.

30) سعيدوني ناصر الدين: الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر دار السلطان أواخر العهد العثماني (1711-1830)م، دار البصائر،2013.

31) سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)م، ط2، م و للكتاب، الجزائر،1985.

32) سعيدوني ناصر الدين: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2013.

33) سعيدوني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، ج1، م و للكتاب، الجزائر،1984.

34) سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث للتاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008.

35) سعيدوني ناصر الدين: ولايات المغرب العثماني (الجزائر تونس المغرب)، ط2، دار البصائر، الجزائر ،2013.

36) شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.

37) شويتام أرزقي: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره(1800-1830)م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011.

38) عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)م، ط2، دار هومة، الجزائر،2007.

39) عبد المجيد الصغير: خصوصية التجربة الصوفية في المغرب، رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة ،2011.

40) عمار هلال ، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين الـ19والـ20م و14/03هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

41) غربي قيرة إسماعيل وأخرون: مستقبل الديمقراطية في الجزائر، مركز الدراسات والوحدة العربية، المستقبل العربي، بيروت،2002.

42) غطاس عائشة وأخرون: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسستها، ط1، منشورات مركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر،2005.

43) محرز أمين: الجزائر في عهد الأغوات (1671/1659)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2011م.

44) محمد المنصور ، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين، (1792م-1822م)، ترجمة، محمد جيدة، ط 1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006م.

45) المدني أحمد توفيق: محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)م، م و للكتاب، الجزائر،1986.

46) مكحلي محمد: ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني (1707-1828)م، دار أفاق كوم للنشر والتوزيع، الجزائر،2013.

ثانيا: الرسائل الجامعية:

47) بن تيشة أحمد: الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب أثناء العهد العثماني، الجزائر وتونس أنموذجا، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلاني اليابس، سيدي بلعباس، الموسم الجامعي (2014-2015)م.

48) بو نقاب مختار: تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ ، جامعة وهران،(2001-2002)م.

49) التلمساني بن يوسف: الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية(1998/1997).

50) فلوح عبد القادر: العلاقات العثمانية في الفترة (1818-1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، الموسم الجامعي (2009-2010)م.

ثالثاً: الملتقيات:

51) بن خويا إدريس: واقع الطرق الصوفية بإقليم توات، بين المرجعية المعرفية والممارسات العلمية، الملتقى الدولي الحادي عشر(التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة)، جامعة أدرار، أيام 9/ 10/ 11، نوفمبر 2008.

رابعاً: المجلات:

52) بن خروف عمر: علاقات الخارجية السياسية مع تونس في عهد الديات (1671-1830)م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، 1997.

53) بو شنافي محمد: الوثائق العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني، مجلة الوقف للبحوث في المجتمع والتاريخ، العدد9، 2014.

54) بو عزيز يحي: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال ق 19، مجلة الثقافة، العدد80، 1984.

55) سعيدوني ناصر الدين: الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي في الجزائر أثناء العهد التركي، مجلة الثقافة، العدد92، الجزائر،1992.

56) سعيدوني ناصر الدين: تدعيم الحكم التركي بالجزائر، مجلة الأصالة، العدد 32، الجزائر،1976.

57) سيدهم أحمد: مكانة التصوف في الحياة الاجتماعية والسياسية في العهد العثماني بالجزائر، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 1، 1995.

58) الغربي غالي ، ثورة بن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن 19م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد8، الجزائر، 1994.

رابعا: باللغة الأجنبية:

59) Depont (o) Cappolani (x)**, les confréries religieuses musulmans.** Alger.1897.Resume. Bou-Nouh.1937.p89

60) Louis Rinn,Les Marabouts et Khouans, étude sur l'islam en Algérie , Alger ed Adolphe , Jourdan, 1884; p 424.

فهرس الموضوعات

الفهرس

العنـــــــــــــوان	الصفحة
الإهداء	
الشكر والعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	1 ـ 5
الفصل الأول: الأوضاع العامة في الجزائر أواخر عهد الدايات	7 ـ 24
أولا: الأوضاع السياسية	7
ثانيا: الأوضاع الاقتصادية	12
1 ـ الزراعة	12 ـ14
2 ـ الصناعة	14 ـ16
3 ـ التجارة	16 ـ17
ثالثا: الأوضاع الاجتماعية والثقافية	18
1- سكان المدن	21 ـ23
2- سكان الريف	23 ـ24
خلاصة الفصل الأول	24
الفصل الثاني: ثورات الطريقة الدرقاوية (1800-1813م)	26 ـ 44
أولا: الطريقة الدرقاوية: (النشأة، التطور)	26
ثانيا: ثورة ابن الأحرش الدرقاوي (1800-1807)م	28
أ – شخصية إبن الأحرش	28 ـ29
ب- أحداث الثورة وتطوراتها	29 ـ 35

ج – فشل الثورة ونتائجها	35 ـ 37
ثالثا: ثورة ابن الشريف الدرقاوي (1805-1813)م	37
أ ـ شخصية ابن الشريف الدرقاوي	37 ـ 38
ب– أحداث الثورة ومراحلها	38 ـ 42
ج– فشل الثورة ونهايتها	42 ـ 43
خلاصة الفصل الثاني	44
الفصل الثالث: ثورات الطريقة التجانية 1800- 1827م	46 ـ 64
أولا: التعريف بالطريقة التجانية	46 ـ 50
ثانيا: طبيعة العلاقة بين السلطة الحاكمة والطريقة التجانية	50 ـ 54
ثالثا: مراحل الثورة التجانية	54
المرحلة الأولى(1782-1800)	54 ـ 56
المرحلة الثانية(1800-1827)	56 ـ 61
رابعاً: فشل الثورة ونتائجها	62 ـ 63
خلاصة الفصل الثالث	64
الخاتمة	66 ـ 67
الملاحق	69 ـ 73
قائمة المصادر والمراجع	75 ـ 81
الفهرس	82 -83